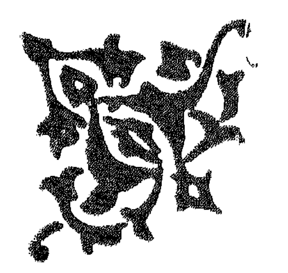
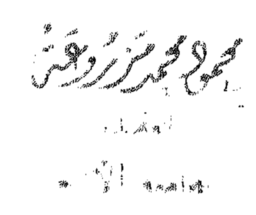
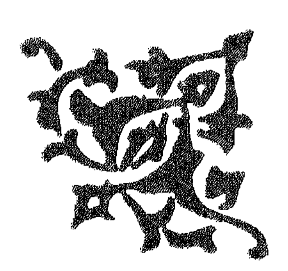




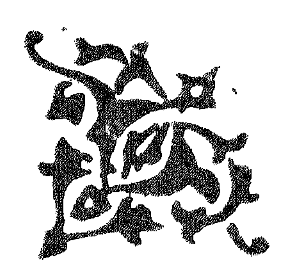


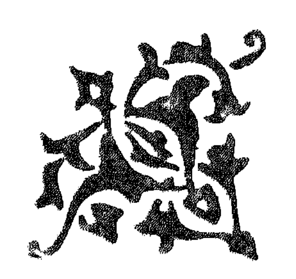
محمود محمد مزروعة

دراسات في

النصرانية

مع مقدمة في دراسة الأديان






al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

دكتور
محمود محمد مزروعة
أستاذ العقيـــدة المساعد
كلية أصول الدين



دراسات فى
النصرانية

مع مقدمة فى دراسة الأديان


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين ، ومتمما للنعمة ، ومكملا للدين ، وخاتماً للنبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن دراسة الأديان من المقاصد الأولى التى يسعى إلى تحصيلها كل مسلم يؤدى ما يجب عليه تجاه الدعوة إلى دين الله ، من حيث أن هـــذه الدراسة تمده بمعرفة دينه معرفة دقيقة وعميقة من جانب ، وتعرفه بأهم الأديان التى تشيع فى المجتمعات الإنسانية من جانب آخر . وبذلك تمده فى دعوته إلى دين الله بسلاحين متعاونين . يتمثل الأول فى معرفة جوانب الحق والعظمة فى دينه ، ويتمثل الثانى فى معرفته جوانب الخطـــأ والانحراف فى الأديان الأخرى المحرفة .

وعندما أسندت إلى جامعة الأزهر تدريس هذه المادة لطلابها ، قمت بإلقاء هذه المحاضرات على الطلاب ، مراعياً فيها تبسيط هـــذه المادة ، وإيفاءها بالغرض الذى قررت على الطلاب من أجله .

وقد رغب إلى من أثق فى صدق نيته فى طبع هذه المحاضرات ليعم بها النفع ، فلبيت ذلك ، سائلا المولى عز وجل — أن ينفع بها طلاب العلم والمسلمين ، وأن يجعلها هداية ونوراً لمن صدقت نيته فى طلب الحق من الضالين .

إنه نعم المولى ونعم النصير

القسم الأول

تعريف بالملل والنحل

تمهيد :

نتكلم فى هذا القسم - بمشيئة الله تبارك وتعالى - عن معنى : الدين ، والملة ، والمذهب أو المدرسة . وهذه كلها نحتاج إلى الوقوف على المراد منها ، كمقدمة ضرورية ينبنى عليها الكثير من الموضوعات التى سنطرقها فى ثنايا الكتاب بإذن الله وتوفيقه :-

* * *

أولا : تعريف الدين

فى اللغة : إن لفظة (دين) فى اللغة العربية من أكبر الألفاظ ثراء بالمعانى والمدلولات . ومعانيها الكثيرة جعلتها غير واضحة المعنى ، أو محددة المدلول . فالباحث عن معنى هذه اللفظة يرى لها مدلولات تزيد على العشرين ، هذا بالإضافة إلى أن هذه المعانى على كثرتها لا تجمع بينها جامعة ولا تؤلف بينها وحدة . بل تجد بينها الكثير من المعانى المتناقضة . فمن معانيها - على سبيل المثال - : أنها العز والذل ، وهى الإحسان والإكراه ، وهى القهر والسلطان ، وهى التذلل والخضوع .

ورغم هذا التضارب فى المعنى اللغوى لكلمة (دين) ، فإننا نستطيع أن نرد معانى هذه اللفظة فى اللغة إلى استعمالات ثلاثة لا تتعداها . حيث ترجع هذه المادة إلى ثلاثة أفعال . أحدها يتعدى بنفسه ، والثانى يتعدى باللام ، والثالث يتعدى بالباء .

فالذى يتعدى بنفسه يعنى الملك والتحكم ، والسيطرة ، وكل ما هو من

هذا القبيل ، وذلك كمثل قول الله — تبارك وتعالى — : « مالك يوم الدين » وقول الرسول ﷺ : « الكيس من دان نفسه » .

وأما الذى يتعدى باللام ، فإنه يعنى عكس المعنى السابق . يعنى الخضوع والذل ، والطاعة ، والاستسلام . وذلك كقولك : «دنته فدان لى» أى ذل وخضع واستسلم .

وأما الذى يتعدى بالباء فإنه يعنى الالتزام والاعتقاد ، واتخاذ الشيء مذهباً وعقيدة . وذلك كمثل قولك : « دنت به » أى التزمت به عقيدة ومذهباً .

وجملة القول أن لفظة (دين) عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له ، فإذا وصف بها الأول كانت خضوعاً وانقياداً ، وإذا وصف بها الآخر كانت إلزاماً وسيطرة ، وحكماً وأمراً ، وإذا نظرنا إلى العلاقة بين الاثنين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة ، والمظهر لها .

ونستطيع أن نقول إن المادة كلها تدور على معنى الالزام ، ففى الأول التزام ، وفى الثانى إلزام ، وفى الثالث هو المبدأ الذى يلزم الانقياد له ، أو الذى ينظم الانقياد والالتزام .

ولا يخفى أن الإلزام هو المعنى الذى تدور عليه كلمة (الدين) بالفتح أيضاً . وأن الفرق بين (الدين) بالكسر ، و (الدين) بالفتح ، هو أن الأولى تتضمن التزاماً أدبياً ، والأخرى تتضمن التزاماً مادياً(١) .

الكلمة عربية : مما تقدم يتضح لنا أن كلمة (دين) عربية أصيلة ، وأنه

---

(١) الدين - د . محمد عبد الله دراز . صفحة ٢٣ - ٢٤ - ط ١٩٦٢ .

لا أساس إطلاقاً للأفكار المغرضة والأقلام المأجورة التى تحاول تجريد هذه الكلمة من عربيتها ، وإلحاقها بالعبرية أو الفارسية ، فهذه محاولات فاشلة أمام ما رأينا من الأدلة الواضحة على أصالة اللفظة فى اللغة العربية ، ولقد رأينا من تصاريف هذه اللفظة ، وتعدد صيغها ، وتشعب استعمالاتها ، ما لا يمكن إطلاقاً أن يحدث للكلمات المعربة .

* * *

فى الاصطلاح : ونريد بالدين الذى نتناول تعريفه هنا ، الدين بوجه عام سواء ما كان منه حقاً أو باطلا ، سماوياً أو وضعياً .

وقبل أن نذكر التعريف يحسن بنا أن نحدد العناصر الجوهرية التى تشترك فيها الأديان كلها ، حتى يسهل علينا بعد ذلك تحديد التعريف الذى يقوم أساساً على هـــذه العناصر ، ويتركب منها .

والعناصر التى تتركب منها الأديان كلها هى :

١ – أن الدين يقوم على أساس علاقة بين ذات وذات ، وليس بين ذات وفكرة .

٢ – أن هذه الذات قد تكون محسوسة وقد تكون غير محسوسة ، فليس بلازم أن تكون هذه الذات غيبية .

٣ – أن هذه الذات تتصرف فى مصائر الناس بقوى غيبية غير محسوسة

٤ – أن تصرفها ذلك ناتج عن مشيئة واختيار وحرية .

٥ – أن هذه الذات متصلة بالبشر ، وليست معزولة عنهم .

٦ – أن هذا الإيمان من شأنه أن يدفع المؤمن إلى التوجه إلى هذه الذات بالطاعة والعبادة .

٧ — أن هذه العبادة لها قواعد وشروط تسير على أساس منها .

هذه هي العناصر الجوهرية التي تتكون منها الأديان كلها . فلا يخلو عنها دين من الأديان .

نستطيع بعد ذلك أن نصوغ تعريفنا على الصورة التي تجمع هذه الخصائص التي ذكرناها .

والدين بهذا المعنى هو : « الاعتقاد بوجود ذات ، لها قوى غيبية ، بها تتصرف في الطبيعة والناس ، حسب مشيئتها وإرادتها ، اعتقاداً من شأنه أن يبعث على التوجه إليها بالطاعة والعبادة في رغبة ورهبة ، حسب نواميس معينة وقواعد محددة » .

* * *

ثانياً : أقسام الدين :

ينقسم الدين بصورته العامة إلى قسمين أساسيين :

القسم الأول : الدين السماوي . وهو الدين الذي نزل من عند الله - تبارك وتعالى - على أنبيائه ورسله - صلوات الله عليهم أجمعين -

ومن خصائص هذا الدين أنه من صنع الله وحده فلا يد لإنسان فيه ، أياً كان ذلك الإنسان . حتى الأنبياء والرسل أنفسهم لا دخل لهم في موضوع الدين المنزل عليهم . فكل ما يأتي به النبي إنما هو من عند الله - تبارك وتعالى - ، يتولى تبليغه إلى الناس ، دون أن يزيد فيه أو ينقص منه . وهذا رسول الله - ﷺ - يقول عنه ربه : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى »(١) .

---

(١) سورة النجم — آية : ٣ — ٤ .

على ضوء ما تقدم نستطيع أن نعرف الدين السماوى بأنه: «وحى أوحاه الله إلى أنبيائه ورسله، ليبلغوه إلى الناس. ليدين الناس به».

والدين السماوى واحد هو الإسلام. أرسل الله به كل رسله وأنبيائه إلى خلقه، وفى إطار هذا الدين الواحد جاءت رسالات الرسل من أمثال موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

القسم الثانى: الدين الوضعى. وهو من وضع البشر، ومن اختراع العقل الإنسانى. وعلى هذا فهو ليس وحياً من عند الله - تبارك وتعالى - وليس له أنبياء أو رسل، ذلك أن مهمة الأنبياء والرسل هى تلقى الوحى عن الله - تبارك وتعالى -. وما دام الدين الوضعى ليس وحياً من عند الله، فليس ثمة محل للانبياء أو الرسل.

يتضح مما تقدم أن الدين الوضعى هو فى حقيقته «مذهب إنسانى دعا إليه بعض الناس فدان به آخرون».

الفرق بين الدين السماوى والوضعى: بان لنا مما تقدم أن الفرق الجوهرى بين الدين السماوى والدين الوضعى، هو الأصل الذى صدر عنه هذا الدين أو ذاك.

فالدين السماوى هو الصادر عن الله - تبارك وتعالى - والداعى إليه هم الأنبياء والرسل، الذين هم وسطاء بين الله والناس. يتلقون مراد الله - تبارك وتعالى - ويبلغونه إلى الناس. وليس للوسطاء أدنى حظ فى وضع الدين، ومهمتهم الأساسية إنما هى التبليغ والترضيح والتبيان فقط، وحتى مهمتهم هذه - التى هى التبليغ والتبيين إنما يسيرون فيها على هدى من أوامر الله وعلى أسلوب يوضحه لهم - سبحانه وتعالى -.

يقول الله - تبارك وتعالى - لرسوله - ﷺ : «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» (١) . ويقول تعالى ، «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (٢) .

فالدين السماوي من عند الله ، سواء في جوهره وموضوعه ، أو في طريقة عرضه وأساليب تبليغه .

وأما الدين الوضعي فعلى نقيض ذلك تماماً ، ليس من عند الله ، وإنما هو من وضع البشر ، في موضوعه وفي كل ما يتعلق به .

نشأة الدين الوضعي : وقد نشأ الدين الوضعي في أساسه كمذهب خلقي أو اجتماعي ، له فلسفته الخاصة التي يقوم عليها ، والتي تستمد دعائمها من البيئة ، وظروف المجتمع الذي نشأت فيه ، ومن ثقافته النوعية ، ومن مشاكله التي جاء هذا المذهب أساساً علاجاً لها .

والمذاهب التي نشأت علاجاً لمشاكل المجتمعات كثيرة لا تكاد تحصى . ولكن الأديان الوضعية التي نشأت من بين هذه المذاهب قليلة جداً . فليس كل مذهب خلقي ، أو اجتماعي ، أو فلسفي صالحاً لأن ينشأ عنه دين وضعي . ذلك أن المذهب لكي يتحول إلى دين وضعي ، لابد أن تتوفر له عوامل معينة ، هذه العوامل منها ما هو ذاتي في المذهب نفسه ، ومنها ما هو متعلق بظروف الناس الذين نشأ المذهب بينهم .

أما من حيث العوامل الذاتية في المذهب ، فمن أهمها :

أن تلمس تعاليم المذهب من الناس أدق أحاسيسهم .

وأن تكون هذه التعاليم ذات صلة موضوعية بواقع حياتهم .

---

(١) سورة الحجر - آية : ٩٤ . (٢) سورة النحل - آيه : ١٢٥

وأن تهتم بهذا الواقع فتعالج فيه أهم مشكلاته، وبخاصة ما يتصل بالجانب النفسي للأفراد .

وأن تتصف تعاليمه بالإلزام القوى وأن تكون محددة وحاسمة .

وأن تحتوى على الجزاء ثوابا وعقابا ، تبشيراً لمن يسير عليها وإنذاراً لمن يخالفها .

هذا فيما يختص بالجانب الذاتى فى المذاهب .

وأما فيما يختص بأفراد المجتمع الذين نشأ المذهب بينهم ، فيجب أن يكون لديهم استعداد لاعتناق هذا المذهب دينا ، وهذا الاستعداد ينشأ نتيجة الخواء العقدى ، والتخبط الدينى لدى هؤلاء الأفراد . ومن المعروف أن التدين غريزة من أقوى الغرائز لدى الانسان ، وأن الانسان لا يمكن أن يحادون أن يشبع هذه الغرائز . فإذا ما صادف مذهب من المذاهب التى توافرت فيها العوامل الذاتية التى أوضحناها ، فراغا عقديا لدى فئة من الناس ، فإنه يتحول لديهم إلى دين يعتنقونه . ويكون العامل الأكبر فى اعتناقهم له ليس صلاحه كدين بقدر ما هو حاجتهم إلى ما يشبع غريزة التدين عندهم ، وذلك كإنسان اشتد به ظمأ ، ولم يجد مايطفىء ظمأته إلا ماء قد فسد منه اللون والطعم والرائحة ، فهو يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، وهو حين يتجرعه لا يفعل ذلك لصلاح الماء ، ولكن لحاجته الملحة إلى أن يطفىء ظمأه فاعتناق الناس الاديان الوضعية نشأ أساساً نتيجة فقدان الناس الدين السماوى النقى الصالح الذى يملأ هذا الجانب الأهم من جوانب حياتهم .

وتاريخ الاديان شاهد صدق على ذلك ، فلم ينشأ دين وضعى أبدا فى وجود من دين سماوى . وإنما كانت تنشأ هذه الاديان إما على فترة من الاديان السماوية ، وإما فى فترات ضعف هذه الاديان السماوية نتيجة تحريف الانسان لها ، وتبديله إياها .

لكل هذا - ومصداقاً له - نرى أن الاديان الوضعية الموجودة الان قد نشأت كلها قبل الاسلام ، وأنه منذ بعث محمد - ﷺ - بالاسلام ، لم ينشأ دين وضعى واحد ، بل لقد توقف انتشار هذه الأديان ، وانزوت فى كهوفها ذلك [لأن] الإسلام هو دين [الفطرة] ، الذى تميل إليه النفس بمقتضى فطرتها وطبيعتها ، هذا بالإضافة إلى أن الله - تبارك وتعالى - قد حفظ الإسلام من التغيير والتبديل . لهذا ، ولأن الإسلام هو دين الله الذى تجد فيه كل نفس ما يتفق وما فطرها الله عليه . فإن الأديان الوضعية قد أضحت تاريخاً يدرس . وعلامة يتطلع إليها الدارسون فيلمحون فيها صوراً من انحطاط العقل البشرى فى بعض مراحله . وإن كانت هذه الصور تقوم دليلا من أقوى الأدلة على أصالة دافع التدين فى فطرة الانسان وطبيعته . حتى ليبحث عنه فى متاهات الخطأ حين لا يسعفه ما يهديه إلى طريق الصواب .

* * *

ثالثاً : المذهب .

تكلمنا فيما سبق عن الدين بقسميه السماوى والوضعى ، ونلنتقل الآن إلى الكلام عن المذهب والمدرسة . والكلام عن المذاهب أمر هام وضرورى لمعرفة الفارق بين الأديان بقسميها ، وما يشيع فى المجتمعات من نزعات ومذاهب ، منها ما هو اجتماعى ، أو سياسى ، أو اقتصادى إلخ هذه المذاهب والنزعات التى تشارك مع الأديان فى توجيه حياة الناس والتحكم فى سلوكهم وكل ما يصدر عنهم من تصرفات . وهذا هو السبب الذى جعلنا نقرن الكلام عن الأديان بالكلام عن المذاهب ، من حيث أن تصرفات الناس وسلوكهم إنما يصدر متأثراً بالمذاهب والأديان جميعاً . فكان احتمال الخلط بين هذه وتلك قوياً ، ولذلك رأينا أن نتكلم عن الفارق بينهما منعاً لذلك الخلط .

ولكي نعرف الفرق بين الأديان والمذاهب، يجب أن ندرس ما يحدث عند ما يقع الانسان على فكرة معينة تعرض له، أو تعرض عليه.

والذي يحدث أن الفكرة عند ما تعرض للانسان تحل منه مباشرة في مجال العقل. وهذه المرحلة التي تحل فيها الأفكار في حقل الانسان مرحلة عامة، يمر بها كل ما يعرض للانسان من أفكار. سواء في ذلك ما يتعلق بالأديان. وما يتعلق بالمذاهب والنزعات.

وبعد هذه المرحلة العامة. تأتي المرحلة الخاصة، وفيها تتحول الفكرة إلى عقيدة، وتحل من الانسان قلبه بعد عقله.

ونزيد الأمر إيضاحا فنقول: إن الإنسان حين تعرض له فكرة فإنه ينزلها في عقله منزلة البحث والتمحيص، ثم يديرها بين الرفض والقبول، وحين يقتنع الانسان بالفكرة، فإنه يلتزم بها، ويتخذها مذهبا له، يسير عليه، ويتصرف انطلاقاً منه، وذلك هو المذهب، أو المدرسة.

أما إذا توافر للفكرة أمر ثان فوق مجرد الاقتناع، وهو كونها تعالج مسائل ما وراء الطبيعة، كالخلق الاحياء، والموت والافناء، والبعث والجزاء، وما هو من هذا القبيل، فإن الفكرة هنا تنتقل إلى مرحلة جديدة فتحل من الانسان في مجال القلب بعد أن كانت في مجال العقل. وبدلا من أن تظل فكرة في مجال العقل تصير عقيدة في مجال القلب وهنا تكون الفكرة قد تحولت إلى دين.

فالمذهب إذن هو فكرة عرضت للانسان تعالج أمراً سياسياً، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً، فاقتنع بها الانسان وسار عليها، وعالج على أساس منها ما يعرض له من أمور سياسية. أو اقتصادية، أو اجتماعية، وذلك مثل المذاهب الرأسمالية، والاشتراكية، والشيوعية.

أما الدين فهو فى أساسه فكرة ، أو جملة أفكار ، تعالج بالإضافة إلى النواحى التى تعالجها المذاهب ، مسائل ما وراء الطبيعة كالخلق ، والبعث والجزاء ، وهذه الأفكار تقبلها الإنسان واقتنع بها ، وحلت منه فى قلبه بعد عقله ، فأضحت عقيدة محلها القلب ، بعد أن كانت - أولا - فكرة محلها العقل.

وكل الأديان على ذلك ، صحيحها وباطلها على سواء .

وعندما عرض سيدنا رسول الله - ﷺ الإسلام على أبى بكر - رضى الله عنه - فإنما كان يعرض عليه أفكاراً محددة ، تعالج أموراً معينة ، ولا ريب أن أبا بكر وزن هذه الأفكار بعقله ، واقتنع بها لاعتبارات عنده توجب الاقتناع وتؤدى إلى اليقين . ثم تحولت هذه الأفكار من عقله إلى عقيدة راسخة فى قلبه .

من هنا يتضح لنا أن الفرق الجوهرى بين الأديان والمذاهب ؛ أن الدين عقيدة راسخة فى القلب . فهو بدأ فكرة محلها العقل ، ثم تخطى هذه المرحلة إلى مرحلة أعمق وأرسخ حين تحول من فكرة محلها العقل ، إلى عقيدة محلها القلب .

أما المذهب فهو فكرة وقفت عند حد الاقتناع العقلى بها ، ولم تتخط هذه المرحلة .

رابعاً : الدين بين الوحدة والكثرة

أشرنا فيما سبق إلى أن الدين فى عمومه ينقسم إلى قسمين :

١ — دين سماوى . ٢ — دين وضعى .

ونتناول هنا الكلام عن هذين القسمين من حيث الوحدة والكثرة .

فالدين الوضعى يتعدد ويتكثر . وذلك أمر طبعى ، فالدين الوضعى نشأ أساساً نتيجة أفكار بشرية ، فهو ابن العقل الإنسانى ، والعقل فى الانسان

تختلف من فرد إلى فرد، ومن أمة إلى أمة، وتختلف من حيث الزمان، ومن حيث المكان. فكان من الطبيعي أن تختلف معطياته من مذاهب، وأفكار، وآراء، ومن أديان وضعية.

أما الدين السماوي فهو صادر من عند الله الواحد - سبحانه وتعالى - لذا كان من الطبيعي أن يكون هذا الدين واحداً، وإن كثر المرسلون به، وتعدد الداعون إليه.

هذا الدين الواحد هو الإسلام.

فالإسلام هو دين الله من يوم أن خلق الأرض ومن عليها، حتى يرثها ومن عليها.

لا مجوسية، لا يهودية، لا نصرانية أو مسيحية، وإنما الإسلام، والإسلام فقط.

«إن الدين عند الله الإسلام»(١).

«ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه»(٢).

فالإسلام هو دين الله الذى ارتضاه لعباده، وبعث جميع رسله مؤمنين به، داعين إليه.

ولقد كان آدم مسلماً وكان نوح مسلماً يدعو إلى الإسلام، وكان إبراهيم مسلماً يدعو إلى الإسلام، وكان موسى كذلك، وكذلك كان محمد - عليه وعليهم جميعاً صلوات الله وسلامه -.

فهذا أبو الأنبياء إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل - عليهما السلام - يتجهان إلى ربهما مبتهلين:

---

(١) سورة آل عمران - آية: ١٩ (٢) سورة آل عمران - آية: ٨٥

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (١)

ويأخذ الخليل العهد على أبنائه أن يظلوا من بعده مسلمين :

« ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (٢) .

وهذا يعقوب أو إسرائيل الذي يدعي اليهود أنهم أتباعه ، لم يكن يهودياً ولم يكن يدعو إلى يهودية ، وإنما كان مسلماً يدعو إلى الإسلام ، ويوصي أبناءه من بعده أن يكونوا مسلمين .

« أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » (٣) .

وهذا يوسف - عليه السلام - مسلم يدعو ربه أن يختم له بالإسلام . فيبتهل إلى ربه : « توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » (٤) .

وموسى - عليه السلام - مسلم يدعو إلى الإسلام ، فيستجيب له السحرة ويبتهلون إلى ربهم قائلين :

« ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » (٥) .

---

(١) سورة البقرة - آية : ١٢٨ (٢) سورة البقرة - آية : ١٣٢
(٣) سورة البقرة - آية : ١٣٣ (٤) سورة يوسف - آية : ١٠١
(٥) سورة الإعراف - آية : ١٢٦

وهذه بلقيس لما رأت نعمة الله وعظيم فضله على سليمان ، هتفت قائلة :

« رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (١) .

وهذا عيسى ابن مريم - عليهما السلام - الذى ينتسب إليه النصارى ، لم يكن نصرانيا يدعو إلى نصرانية ، ولم يأت بدين جديد ليسمى باسمه فيقال : المسيحية ، وإنما المسيح معلم جاء يدعو إلى الإسلام . فيستجيب له الحواريون ويشهدونه على إسلامهم.

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصـــارى إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون »(٢)

وهذا خاتم الأنبياء محمد - عليه الصلاة والسلام - يقول له ربه :

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » (٣) .

وإذا كان دين الله واحداً هو الإسلام ، فما أشد كذب هؤلاء الذين ينسبون أنبياء الله إلى اليهودية أو النصرانية ، فى حين أنهم جميعاً مسلمون :

« أم تقولون إن ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أأنتم أعلم أم الله ؟ » (٤)

فليس فى الأنبياء يهودى ، ولا نصرانى ، وإنما هم جميعاً مسلمون ، أنزل الله عليهم الإسلام ليؤمنوا به ، ويدعو إليه :

---

(١) سورة النمل - آية : ٤٤ (٢) سورة آل عمران - آية : ٥٢
(٣) سورة الأنعام - آية : ١٦٢ - ١٦٤ (٤) سورة البقرة - آية: ١٤٠

«قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتى موسى، وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم. لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون» (١)

هذه الوحدة فى دين الله، على مراحل الدعوة إليه، وبصحبة جميع الداعين إليه يعبر عنها الله - تبارك وتعالى - فى قوله:

«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذى أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم، وموسى، وعيسى. أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (٢).

• • •

خامساً: رسالة محمد ﷺ هى الإسلام

أوضحنا فيما سبق أن رسالات الله التى جاءت من قبل الله - تعالى - هى الإسلام، وأن كل الأنبياء إنما جاءوا يدعون الناس إلى هذا الدين.

- الإسلام - إلا أن الإسلام أضحى الآن وقفا على رسالة خاتم الأنبياء محمد - عليه الصلاة والسلام - .

ذلك أن رسالة محمد ﷺ قد جاءت فورثت الأديان السابقة، وهيمنت عليها، وأصبحت هى - وحدها - دين الله الحق الذى لا دين سواه، والذى يتحتم على كل صاحب دين من يهودية أو نصرانية، أن يترك دينه ويدين بهذا الدين الخاتم، ويسلم له، ويسير تحت كنفه، فإن محمداً خاتم الأنبياء فلا نبى بعده، ورسالته خاتمة الرسالات فلا رسالة بعدها.

يقول الله - تعالى - :

---

(١) سورة البقرة - آية: ١٣٦ (٢) سورة الشورى - آية ١٣

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » (١) .

وكذلك لأن رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - هي الدين الكامل الذي أراد الله للبشرية من يوم أن خلق الأرض ومن عليها . وإنما جاء هذا الدين آخراً لأن الفترة السابقة عليه من تاريخ البشرية كانت بمثابة تمهيد له ، وإرهاص به ، وإنما كانت الأديان السابقة هي الممهدة له ، المبشرة به . وعندما كمل رشد الانسانية ، وأصبحت قادرة على تلقي الدين كاملا ، وحمل الأمانة مستعدة ، أكمل الله لها الدين ، وأتم عليها النعمة :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٢) .

لهذا توجه الله تعالى - الخطاب لأهل الكتاب جميعاً من يهود ونصارى ، يحضهم على ترك ما هم عليه . واتباع ما جاء به خاتم الرسل - ﷺ - مبيناً لهم أنه لاعذر لهم في ترك رسالة محمد - ﷺ - والتمسك بما هم عليه . يقول - تعالى - :

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير . والله على كل شيء قدير » (١) .

* * *

---

(١) سورة المائدة - الآية ٤٨ . ( ) سورة المائدة - آية : ٣

( ) سورة المائدة - الآية : ٤٨

سادساً : العقيدة والشريعة :

يشتمل الدين السماوى على عقيدة وشريعة .

أما العقيدة فهى الجانب النظرى فى الدين ، وهى جوهره وأساسه . وهى القاسم المشترك بين كل ما جاء من قبل الله - تعالى - من رسالات ، وهى عنصر الوحدة فى هذه الرسالات .

والعقيدة فى دين الله تنبنى على ستة أسس هى :

١ - الإيمان بالله ٢ - وملائكته ٣ - وكتبه ٤ - ورسله

٥ - واليوم الآخر ٦ - والقدر .

وهذه الأسس واحدة فى دين الله على اختلاف مراحل نزوله . فنوح عليه السلام - جاء يدعو إلى الإيمان بهذه الأسس ، وإبراهيم كذلك ، والدين الذى جاء يدعو إليه موسى وعيسى - عليهما السلام - ينبنى فى عقيدته على نفس هذه الأسس بلا زيادة أو نقصان .

يقول الله - تبارك وتعالى - مشيراً إلى هذه الأسس فى آية البر :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله . واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (١)

---

(١) سورة البقرة - آية : ١٧٧ .

ويقول تبارك وتعالى مشيراً إلى أن ما نزل من عنده من دين، على يد الكثيرين من الرسل إنما يقوم على أسس واحدة، وجوهره واحد، وحقيقته لا تختلف من نبي إلى نبي، وأن كل الأنبياء إنما نزل عليهم دين واحد.

«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»(١)

* * *

أما الشريعة فهى الجانب العملى فى الدين، وهى فرع عن العقيدة.

وهذه تختلف فى دين الله من نبي إلى نبي، ومن أمة إلى أمة، يقول الله - تبارك وتعالى - مشيراً إلى اختلاف الشريعة من رسول إلى رسول، ومن أمة إلى أمة:

«لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً»(٢).

وهذا الاختلاف فى الشريعة لم ينتج عن ضرورة ذاتية فى الدين نفسه ولكنه أتى نتيجة لظروف الأقوام الذين نزل عليهم هذا الدين. ونتيجة لاختلاف هذه الظروف. فلقد كانت البشرية فى أول عهدها ساذجة، لا تستطيع أن تتلقى الدين كاملا، أو تحمل الأمانة مستوفاة، ولذلك كان من رحمة الله أن ينزل على كل أمة من الشريعة ما تطيق، وأن يكلفها من الأعمال ما يتفق مع ظروفها، وما يتواءم مع ما وصلت إليه من كمال.

وسار أمر الشريعة على هذا المنوال كلما بعث رسول نزل عليه من الشريعة قدراً أكمل وأتم من الشريعة السابقة، وما زال هذا أمر الشريعة، تسير قدماً فى طريق الكمال، كلما اقتربت الإنسانية من كمال رشدها، حتى

---

(١) سورة الشورى - آية: ١٣ (٢) سورة المائدة - آية: ٤٨

في جملة الوقت الذي وصلت فيه الإنسانية أوج كمالها ، فبعث الله إليها بخاتم رسله وسطه أو كمل الشرائع وأتمها ، وأشملها وأعمها . بعث الله محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشريعة الإسلام ، وأنزل عليه قوله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

• • •

وقد أشار الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى جملة العقيدة والشريعة في حديثه الصحيح ، عندما أتاه جبريل ـ عليه السلام ـ في صورة رجل ، وجلس أمام الرسول ـ ﷺ ـ وسأله عدة أسئلة تناول فيها العقيدة والشريعة معاً .

قال جبريل ـ عليه السلام ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ : ما الإيمان ؟ فقال الرسول : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . ثم سأله جبريل عن الإسلام ، فقال ﷺ : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . ثم سأله عن الإحسان ، فقال عليه الصلاة والسلام : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

القسم الثـــانى

النصرانية

البحث الأول

المسيح فى القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن المسيح - عليه السلام - حديثاً طويلا تناول الجوانب التي يهم المؤمنين معرفتها عنه كنبي من أنبياء الله العظام - على نبينا وعليهم صلاة الله وسلامه -.

وتتناول في هذا المبحث - بعون الله وتوفيقه - ما يتصل بالحمل به، وميلاده، ومعجزاته، ثم وفاته، كل ذلك من خلال حديث الكتاب العزيز عن هذه الأمور.

• • •

١ - امرأة عمران: وهي أم مريم وجدة عيسى - عليه السلام -.

وكان عمران زوجها رجلا صالحا تقياً من بني إسرائيل. وكان مقرباً من الله ساعيا في مرضاته. وكانت امرأته صالحة تقية. وكانت عاقراً فتمنت على الله أن يرزقها غلاما. واستجاب الله لها. وعندما استشعرت فضل الله عليها. وهزها عطفه عليها فناجت ربها قائلة:

«رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم» (١)

وكان هذا النذر معروفاً عند اليهود، ينذر المرء نفسه، أو ينذر أهله لخدمة الهيكل وحياة القداسة والتبشير باليوم الموعود الذي يظهر فيه المسيح المنتظر وكانت طائفة المنذورين تقيم في الهيكل وتساعد في إتمام الطقوس وتفعل ما تؤمر به من جهة الكهنة.

وقبل ميلاد المسيح كثر المنذورون بشكل غير عادي، لأن ذلك التاريخ كان يوافق نهاية الألف الرابعة منذ بدء الخليقة على حساب تقويم اليهودية وهم كانوا ينتظرون ظهور المسيح المنتظر على رأس كل ألف سنة، ومن هنا

---

(١) آل عمران. بعض آية: ٥٠

كانت النذور بالاولاد تكثر فى نهاية كل ألف سنة . لان كل أسرة كانت تتمنى أن يكون ابنها المنذور هو المسيح . أو يكون ابنها فى خدمة المسيح حين يأتى » (١) .

ويبدو أن النذر كان خاصا بالذكور دون الإناث أو أن الذكور كانت لهم بالنسبة للخدمة فى الهيكل ميزة خاصة دون الإناث . ومن ثم فقد أصيبت امرأة عمران بما يشبه خيبة الامل ، عندما اكتشفت بعد الولادة أن الجنين الذى انفصل عنها أنثى وليس ذكراً ، ولذا توجهت إلى ربها ـ تبارك وتعالى ـ تعتذر وتتأسف :

« فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم . وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » (٢) .

وحملت أم مريم ابنتها ووضعتها بين يدى الكهنة ، وتقبلها ربها بقبول حسن ، وغرس حبها فى قلوب الكهنة ، حتى إنهم تنازعوا فيما بينهم على من يكفلها . والتجأوا إلى أقلامهم يلقونها ليعرفوا من منهم يكفل مريم . وخرج السهم من نصيب زكريا ـ عليه السلام ـ ، فكفل مريم ، ونشأت مريم فى هذا الجو الذى يعبق بالطهر والنقاء وشملها ربها بعطفه وتكريمه فكان زكريا يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقا لا عهد له به . فيسألها فتقول إنه من عند الله :

« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . قال يامريم أنى لك هذا قالت

---

(١) حياة المسيح ـ عباس محمود العقاد ص ٥٧ (٢) آل عمران ـ آية : ٢٧

هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »(١) .

ثم رفع الله مريم درجة أخرى فى القرب حين بعث إليها ملائكته تخبرها باصطفاء الله إياها وتأمرها بطاعة الله وأن تجد فيها ما استطاعت :

«وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك ، واسجدى ، واركعى مع الراكعين » (٢) .

والناظر فى أمر مريم من بدايته يجزم بأن ربها يعدها لأمر خطير وجليل . فقبولها خادمة فى الهيكل - رغم أنها أنثى - ، وقبول الله إياها هذا القبول الحسن ، وإقامته زكريا - ذلك النبى الصالح - كافلا لها ، وإفاضته الرزق عليها بغير حساب ثم إرساله الملائكة تأمرها بالجد فى الطاعة والعبادة - كل هذه أمور تعد إرهاصاً لذلك الأمر الخطير .

فما هذا الأمر ؟

٢ — تبشير مريم بعيسى - عليهما السلام - .

نشأت مريم هذه النشأة الطاهرة التى أشرنا إليها ، حتى اشتهرت بين قومها بالعبادة والتبتل ، واتخذت لنفسها مكانا خاصاً بها تنقطع فيه لعبادة ربها بعيداً عن الناس ، وعما يشغلها عن هذه العبادة .

وفى يوم من الأيام ، بينما هى فى خلوتها منقطعة عن الناس ، ما راعها إلا شاب جميل الصورة ، مكتمل الرجولة ، قد تسور عليها خلوتها ، فظنت مريم بالشاب ظن السوء ، وخشيت أن يكون قد أراد منها ما يريد الرجل من المرأة ، فقالت له :

---

(١) آل عمران - آية : ٣٧ . (٢) آل عمران الآيات : ٤٢ — ٤٣ .

« إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا »(١) .

فأجابها بأن الأمر ليس كما ظنت ، وأنه لم يرد بها سوءاً . وأنه ليس من البشر . بل هو رسول رب العالمين ، جاء ليهبها غلاماً زكياً :

« قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً »(٢) .

وعجبت مريم : كيف يكون لها غلام ولم يمسسها بشر ؟ :

« قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغياً »(٣) .

وحينئذ أحالها جبريل على قدرة الله التى لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السموات . وقال لها :

« كذلك قال ربك هو على هين » .

ثم زادها تعريفاً بالحكمة من خلق هذا الغلام فقال :

« ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمراً مقضياً »(٤) .

* * *

٣ — الحمل بالمسيح وولادته :

نفخ جبريل فى مريم فحملت بالمسيح - عليه السلام - . وليس لدينا دليل على موضع النفخ وليس له عندنا كبير أهمية ، فسيان نفخ جبريل فى جيبها أو كمها ، فلقد حملت مريم بالمسيح . وهو الأمر الذى اختارها الله له ، وهيأها لأجله . ولما حملت العذراء بولدها انتبذت به مكاناً قصياً . ثم جاءها المخاض

---

(١) سورة مريم . آية : ١٨ . (٢) سورة مريم آية : ١٩
(٣) سورة مريم آية : ٢٠ (٤) سورة مريم آية ٢١

فأتت جاءت إلى جذع نخلة تستتر به وولدت ابنها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام — والطبيعة البشرية ضعيفة متهافتة لا تقوى على تحمل المفاجآت أو الصدمات. وبخاصة ما كان يتعلق بالشرف أو العرض عند امرأة أمضت حياتها فى الحفاظ على شرفها وعرضها. واشتهرت أول ما اشتهرت بالعفة والطهارة، والبعد عن الدنس والمآثم. لذلك نرى مريم رغم علمها بأن ذا وقع لها إنما هو بإذنه تعالى — ومشيئته، عندما حملت بابنها تفر من قومها.

« فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً » (١)

ثم لما جاءها المخاض وولدته:

« قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » (٢).

ولكن الله يطمئنها ويشد من أزرها فيرزقها طعامها وشرابها وهى فى شدتها. كما كان يبعثه إليها برزقها فى محرابها. ولكن الأمر ليس طعاماً وشراباً وحسب، وإنما الشدة العسيرة، والعقبة الكأداء هى:

كيف ستخرج مريم بابنها على قومها؟.

وهنا يرتب الله لها كل شىء. بحيث يضمن لها التبرئة والتكريم. فيضع براءتها فى فم ابنها، وبذلك يقيم لها دليل البراءة من دليل الاتهام نفسه. فيأمرها بالا تكلم أحداً من الناس فى شأن ولدها وما حدث لها، وإنما تترك الأمر للوليد يعالجه بنفسه. وحملت مريم وليدها ثم أتت به قومها.

ولقد كان فى نشأة مريم وما عرفه قومها عنها من نسك وطهر وعفة وتبتل ما يشفع لها عندهم، وما يبعد عنها الريب والشكوك، وما يجعلهم

---

(١) سورة مريم آية : ٢٢ (٢) سورة مريم آية : ٢٣

يلتمسون لأمرها تعليلا يبعد بها عن الشبهة والرمى بالزنا . ولكن قومها لم يتفكروا فى ذلك عندما رأوها وابنها على صدرها ففاجأوها بالاتهام ورموها بالزنا ، ولكنها فاجأتهم بما هو أغرب من ذلك ، فبدلا من أن تدافع عن نفسها أشارت إلى الوليد الذى لم يكمل أياما ، فاشتد عجبهم ، وازداد ذهولهم عندما سمعوا الوليد يجيبهم بلسان فصيح ، مبرئاً أمه ، ومخبراً عن نفسه أنه عبد الله ورسوله ، يقول تعالى :

« فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، فناداها من تحتها ألا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلى واشربى وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ، فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا ، فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً ، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً ، وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » (١) .

ومع هذه البينات الواضحات من سيرة الأم ، ومن نطق طفلها ، فإن قوم مريم من اليهود لم يقتنعوا بذلك . ولعلهم نسبوه إلى السحر الذى كانوا يؤمنون به ويزاولونه . وظلوا على اعتقادهم فى مريم بأنها خاطئة ، وأنها بغى وأن ولدها من حرام .

---

(١) سورة مريم الآيات : ٢٢ — ٣٣ .

٤ ـ مدة الحمل :

تضاربت الأقوال فى مدة حمل مريم بالمسيح ـ عليه السلام ـ . فمن قائل إنها تسعة أشهر ، ومن قائل بأنها ثمانية ، وقائل بأنها ستة ، وقائل بأنها ساعة واحدة أو ساعات . ومع إيماننا بأن علم ذلك عند الله وحده . إذ لم يرد ما يدل على ذلك فى كتاب أو سنة . فإننا لا نرى ضيراً فى أن ندلى برأينا فى خضم هذه الآراء . مع التنبيه إلى أن الآراء كلها لا تعدو ترجيح جانب وليس إلى القطع برأى فى ذلك من سبيل .

والذين تكلموا فى مده الحمل انقسموا إلى فريقين . فريق رأى المعجزه فى كيفة الحمل . فأجرى ذلك على مدته . فجعلها أيضاً من باب المعجزة . ومن هنا ذهب إلى أنها ساعة أو ساعات .

والفريق الثانى رأى أن المعجزة فى كيفية الحمل لا تستجوب أن تفتح باب المعجزات على مصراعيه لنأخذ منه ما نشاء . وهذا الفريق يرى أن مدة الحمل هى المدة المعتادة . ونحن نرجح أن تكون مدة الحمل هى المدة المعتادة . وهى التسعة أشهر الهلالية ، وإذ لم يرد لنا ما يفيد القطع فى ذلك من كتاب أو سنة . فلا سبيل إلا باستعمال العقل والمنطق . والعقل والمنطق يقرران أن الأصل فى الأشياء هو المعتاد الذى يسير على نسق الطبيعة . وأما المعجزة فشىء على خلاف الأصل . لا نقره ولا نذهب إليه إلا إذا قام عليه دليل . ومدة الحمل فى المسيح لم يرد ما يدل على الإعجاز فيها . أو على أنها خالفت المعتاد فالحق هنا أن نحملها على الأصل الذى هو مدة الحمل المعتادة لان حملها على خلاف الاصل دون دليل تكلف لا مبرر له والاحتجاج على الاعجاز فى مدة الحمل بالإعجاز فى كيفية الحمل أمر غير مقبول فكيفية الحمل أمر لا علاقة له بالمدة التى يتم فيها .

ثانياً : أن مدة الحمل لو كانت على غير المألوف لذكرت بجانب الكلام

عن المسيح وعن كيفية الحمل به . فنحن نرى القرآن الكريم قد ذكر إحصاء دقيقاً لمعجزات كثيرة تعلقت بالمسيح سواء فى حمله أو وضعه أو كلامه فى المهد أو ما أجراه الله على يديه . لكن القرآن الكريم مع هذا الإحصاء الدقيق لهذه المعجزات لم يذكر شيئاً عن مده الحمل فيه ولو كانت مده الحمل غير معتاده لذكرها القرآن بجانب هذه المعجزات . فهى لا تقل شأناً عن واحدة من هذه المعجزات . وليس هناك سبب مقبول لذكر كل هذه المعجزات مع إغفال هذه المعجزة على التسليم بحدوثها .

ثالثاً : أن المقصود الاول من المعجزه هو العلم بها، واشتهارها ، والإقرار بها. أى المدار فى المعجزة على أن تفجأ الناس فلا يسعهم إلا الإقرار بها والإذعان لها . وإذا لم تكن المعجزة من هذا القبيل فهى عبث لا طائل وراءه ولا غناء فيه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - . والمعجزة فى مدة الحمل عند مريم مر ألا يمكن أن يؤدى المراد منه فى إقرار الناس وإذعانهم .فإن مريم - عليها السلام - عندما تضع ابنها بعد ساعه أو ساعات من حملها به . بماذا ستقنع الناس بانها لم تحمل به إلا منذ ساعة أو ساعات ؟ وبماذا ستثبت لهم هذه المعجزة ؟ وكيف ستضطرهم إلى الاعتراف بهذا وهل ستاتى لهم بالأطباء ليثبتوا ذلك ؟ إن إقناع الناس بتلك المجزة شىء فوق الإمكان . ومهما قيل عن انتفاخ بطنها أو عدم انتفاخه ، فإن ذلك لا يقوم دليلا فى إثبات ولا فى نفى . وإننا لنرى كثيرات من النساء تحمل وتلد ومع ذلك لا تنتفخ بطنها إلا انتفاخا نسبيا لا يكاد يحس .

وبهذا يعلم تهافت الحجة التى ركن إليها أصحاب الرأى الأول من أن مده الحمل لو كانت طبعية لا نتفخ بطنها وظهر ذلك عليها . وعرف القوم بحملها قبل الولاده ولما فوجئوا بولدها حين أتت به تحمله . الواقع أن هؤلاء لو أضافوا إلى ماقدمناه من مريم عليها السلام كانت معتكفة عن الناس للعباده . وأنها -كما أخبر عنها الكتاب العزيز - قد انتبذت من قومها مكاناً قصياً عقب حملها به .

وأنها لم تلق قومها إلا بعد الوضع . وأن اعتكافها كان أمراً طبيعيا قبل الحمل . وبعده ازدادت اعتكافاً وابتعاداً عنهم . وأن ذلك لم يكن ليريبهم منها . إذ كان ذلك عادة لها ، نقول : لو أن هؤلاء لاحظوا ذلك لادركوا أن انتفاخ البطن هذا لا يصلح دليل نفي أو إثبات . وأما احتجاج أصحاب الفريق الاول بالنسق القرآني حيث عبر بالفاء في الآية ، وهي للتعقيب والترتيب . فإنه لا يفيد شيئاً في إثبات المعجزة . والتجوز في اللغة باب واسع يحتمل تأويل هذا وأكثر منه .

٥ — نبوءة المسيح :

وهذا أمر آخر يختلف فيه الباحثون . فبعضهم يرى أن المسيح - عليه السلام - نبيء وهو في سن الأربعين . وذلك بناء على القاعدة المشهورة التي تقول إن الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين . وربما أكد هؤلاء رأيهم بذكر بعض الآثار التي تشهد لهم . وبعضهم يرى أنه - عليه السلام - نبيء في سن الثلاثين . وهناك فريق ثالث يرى أنه نبيء وهو في المهد . وهؤلاء يستندون إلى ظاهر القرآن الكريم ، ويتمسكون بحرفية الآيات القرآنية . ونحن نعتقد أن الأرجح هو الرأي القائل بأنه بعث على رأس الثلاثين أو ما حولها . فهذه حقيقة أثبتتها الدراسات التاريخية والآثار الموضوعية . أما القاعدة التي تقول إن الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين . فهي تصدق في أغلب الأحوال . ولا يلزم منها التحقق دائماً وفي جميع الحالات .

وأما الرأي القائل بأنه نبيء وهو في المهد . فالقائلون به يخالفون المعقول ، ولا يجدون لهم سنداً سليماً من المنقول . فدعواهم باطلة من أساسها . فليس في عيسى عليه السلام من معجزة وهو صغير إلا نطقه في المهد . وكان ذلك النطق لعلة وحكمة . وهي تبرئة أمه من التهمة الموجهة إليها وهي الزنا . وإنقاذها مما كان ينتظرها من عقاب على يد اليهود حسب

شريعتهم فى عقاب من تثبت عليها واقعة الزنا . فدعوى نبوته وهو فى المهد باطلة عقلا ونقلا . أما عقلا : فلأن النبوة تكليف لشخص النبي أولا ثم للناس المبعوث إليهم ثانياً . فأما بالنسبة لشخصه عليه السلام، فلم يثبت أنه كان يصلى أو يصوم فى المهد، ولا يعقل ذلك على الإطلاق . ولو قال به أحد لكانت علته فى رأسه . وأما بالنسبة إلى غيره من الناس، فلم يثبت أنه عليه السلام ترك مهده وهو رضيع ثم قام فى الناس داعياً إلى الله . وإنما الثابت أنه لم ينصب نفسه للدعوة قبل سن الثلاثين . وهذه حقيقة أثبتتها الدراسات الموضوعية والآثار التاريخية .

ولو أن عيسى عليه السلام نصب نفسه للدعوة — ولو مرة واحدة — وهو فى المهد كما يقال لما ذهب صدا ذلك دون أن يصل إلينا . إذ الإعجاز فيه لا يقل عن كل ما عداه من معجزاته عليه السلام . فبطلت إذاً الحكمة من بعثته وهو فى المهد — كما يقال — سواء بالنسبة لشخصه أو بالنسبة لغيره من الناس . وأما نقلا : فليس فى الكتاب أو السنة ما يدل على أن عيسى عليه السلام قد نبىء وهو فى المهد . وأما قوله تعالى على لسان عيسى : « آتانى الكتاب وجعلنى نبياً (١) » : فهذه الآية لا تشهد لما سيقت له من الاستشهاد على نبوته فى المهد . فإن الكتاب العزيز واللغــــة مليئان بهذا الأسلوب الذى يقع فيه الماضى موقع المستقبل لتأكيد الوقوع والتحقق . بل إن فى الآية دليلا واضحاً على أن المراد بالكلام هو المستقبل وليس الماضى . وذلك هو قوله تعالى على لسان عيسى : « وآتانى الكتاب » . فليس من المعقول أو المقبول أن يكون الإنجيل قد نزل على عيسى وهو صغير فى المهد . أم هل يرى أصحاب هذا الرأى أن الله تعالى أنزل الإنجيل على عيسى وهو فى المهد أو أنزله عليه ساعة الولادة ؟

---

(١) سورة مريم . بعض آية : ٣٠ .

أعتقد أن شيئاً قليلا من التفكير السليم . جدير بأن يدحض هذا الرأى من أساسه .

* * *

٦ ـ الحكمة من خلقه عليه السلام من غير أب .

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ فى شأن عيسى ـ عليه السلام ـ مشيراً إلى الحكمة من خلقه على الهيئة التى خلقه عليها :

« كذلك قال ربك هو على هين . ولنجعله آية للناس ورحمة منا » (١) .

وفى هذه الآية يشير ـ تبارك وتعالى ـ إلى أنه خلق عيسى بهذه الكيفية ليكون آية للناس ورحمة منه . ولكن السؤال يظل قائماً على الرغم من هذا البيان .

فإذا كان المراد أن يكون عيسى آية ، فلماذا اختار الله أن تكون الآية على هذه الصورة ؟ لقد كان يمكن أن تكون الآية على صور كثيرة تخالف هذه الصورة . ويظل السؤال القائم : لماذا اختار الله أن تكون الآية فى عيسى على هذه الصورة دون غيرها ؟ إن الكتاب العزيز اكتفى بالإشارة التى أوردناها وهى كونه عليه السلام آية . ولكن لم يبين لنا لماذا الآية على هذه الصورة دون غيرها . ونحن إذا وقفنا عند هذا الحد لا نكون قد أجبنا على السؤال الذى أثرناه . فلا مفر إذاً من محاولة من جانبنا لنصل إلى ما نعتقد أنه الإجابة على هذا السؤال . ولكى نصل إلى ذلك لابد لنا من دراسة المجتمع الذى بعث الله إليه بالمسيح آية . ويجب أن نحاول أن نضع أيدينا على مكمن العلة وموطن الداء . فى جسد هذا المجتمع . فإننا لا نشك لحظة فى أن الله ـ سبحانه ـ يرسل آياته إلى المجتمعات دواء لأدوائها ، وعلاجاً لأسقامها . ولا نشك كذلك فى أن الله ـ سبحانه ـ يضع الدواء على

---

(١) سورة مريم بعض آية : ٢١

قدر الداء ، فإذا ما درسنا الداء فقد يمكن أن نعرف الحكمة والعلة فى اختيار الدواء والعلاج .

وقد يمكن أن نجد فى جسد المجتمع عشرات من الأمراض والأدواء . ولكن ليس من شك فى أن بعض هذه الأدواء أصل لبعضها الآخر ، ومنبع له . ومن ثم فيكون الاهتمام به أكثر وأكبر . لأن فى معرفته معرفة بقية الأدواء . وهذا شأن المجتمع الذى أرسل إليه المسيح عليه السلام . فلقد كان المجتمع اليهودى آنئذ مليئاً بالأسقام والأدواء . ولكن أكبر هذه الأدواء وأخطرها ، وما يمكن أن تقول عنه إنه أصل لغيره وأساس له . هو كفر اليهود بالروح واستغراقهم فى المادة . استغراقاً جعلهم ينكرون الروح وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد. وإيمانهم بالمادة دفع بهم إلى أن يردوا كل شىء فى الحياة إلى أسبابه المادية . ويرجعوا كل المعلولات إلى عللها المباشرة من الطبيعة والمادة . وأصبح لكل مسبب عندهم أسبابه المادية المحددة التى لا يمكن تخلفها بحال . وقد أدى بهم هذا الاستغراق فى المادة إلى أن أنكروا اليوم الآخر وما فيه. وشاع بينهم إنكار الروح حتى اعتقدوا أن الإنسان مكون من جسد فقط . وليس ثمة شىء آخر غير الجسد .

يقول المؤرخ الفرنسى (رينان) مشيراً إلى ذلك :

« لو كان الشعب الإسرائيلى يعرف التعاليم اليونانية التى من مقتضاها اعتبار الإنسان عنصرين مستقلين . أحدهما الروح والآخر الجسد ، وأنه إذا تعذبت الروح فى هذه الحياة فإنها تستريح فى الحياة الثانية . لنسرى عنه شىء كثير من عذاب النفس واضطراب الفكر » (١) .

---

(١) نقلا عن كتاب محاضرات فى النصرانية — محمد أبو زهره — ص ١٦ .

في هذا المجتمع اليهودي الذي استغرق في المادة وأنكر كل ما عداها .
في هذا المجتمع الذي حصر يقينه في الأسباب الطبعية لكل المسببات ، والعلل المادية لكل المعلولات ثم أنكر كل ما عدا ذلك . مما لا يقع تحت سمعه وبصره . في هذا المجتمع الذي كان أعظم أمراضه هو الاستغراق في المادة وإنكار ما وراء المادة ، خلق الله عيسى - عليه السلام - دواء لهذا الداء ، وعلاجاً لهذه العلة .

ففي مجتمع لا يؤمن إلا بالمادة ، ولا يعرف في الحياة شيئاً إلا على أساس مادي ، يأتي عيسى عليه السلام ، بسبب لا هو مادة ولا بالمادة .

وفي مجتمع لا يعرف للمسببات إلا أسبابها الطبعية ، وعللها المادية ، يأتي عيسى عليه السلام على غير السبب الطبعية ومخالفاً للسنن المادى .

وإذن فقد خلق الله - سبحانه - عيسى - عليه السلام - ليلفت اليهود إلى عالم ما وراء المادة ، التي لا يؤمنون إلا بها . ولا يدينون إلا لها .

وفي هذا المجتمع المادي يضعف الشعور بقدرة الخالق — جل وعلا — وينعدم — أو يكاد — التعويل عليها والرجوع إليها . فالإيمان بقدرة الله تعالى يتطلب من المؤمن أن ينفذ بقلبه إلى ما وراء المادة . ولكن المجتمع اليهودي — على عهد المسيح — كان قد استعبد للمادة . وأصبح لا يكاد يذكر ما وراءها .

ولذلك جاء عيسى - عليه السلام - إعلاناً لعالم ما وراء المادة . وتذكيراً بقدرة الله تعالى . وهذان الأمران متلازمان . فإن خلقه عليه السلام بالكيفية التي خلق عليها نقض للأسباب المادية ، والقوانين الطبعية ، وتذكير بقدرة الخالق ودليل عليها في نفس الوقت . يقول - تعالى - :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون (١) » .

. . .

ولقد جاء عيسى - عليه السلام - مكملا لضروب القسمة العقلية فى قدرة الله على خلق الإنسان ، بالنظر إلى الأسباب والوسائط .

والضروب العقلية فى ذلك أربعة :

١ - أن يخلق الله إنسانا بغير واسطة على الإطلاق ، أى بلا أب ولا أم .

٢ - أن يخلق الله إنسانا بواسطة الأب والأم جميعاً .

٣ - » » » » » » » دون الأم .

٤ - » » » » » » الأم دون الأب .

وقد تحقق القسم الأول بخلق الله آدم عليه السلام .

وتحقق القسم الثانى بالخلق المعتاد للناس أجمعين .

وتحقق القسم الثالث بخلق الله حواء من ضلع آدم ، فقام منها مقام الأب .

وبقى الضرب الرابع من القسمة العقلية لكى يكمل البرهان على قدرة الله الخالقة المتحررة من سلطان الأسباب ، والمستغنية عن العلل المادية التى نألفها ونراها ، وهذا الضرب الرابع جاء عيسى عليه السلام تحقيقاً له ، وبه كملت هذه الأقسام التى ذكرناها .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٩ .

أما الحكمة فى احتفاظ الله تعالى بهذا القسم الرابع وتأخيره حتى ذلك الوقت الذى ولد فيه عيسى — عليه السلام — فذلك حتى يأتى فى وقت الحاجة إليه على ما بيناه فى أول هذه الفقرة .

• • •

٧ — معجزات المسيح — عليه السلام —

إن الأمر فى معجزات المسيح كالأمر فى خلقه . فخلقه - عليه السلام - ومعجزاته كلها تسير فى تناسق وتناسب إلى غاية واحدة . فأسلوب الإعجاز واحد فى خلقه ومعجزاته . والهدف منهما واحد . وإن أوضح ما يتضح فيهما أمران :

١ — أنها مسببات خفى سببها المباشر ، ومعلولات فقدت عللها القريبة المألوفة .

٢ — أنها تدعو إلى الإيمان بالروح وسط مجتمع لا يؤمن إلا بالجسد .

• • •

٨ — الكلمة والروح .

تتكلم فى هذه الفقرة - بمشيئة الله تعالى - عن لفظتين وردتا فى الكتاب العزيز ، وصف بهما عيسى عليه السلام . وهاتان اللفظتان رغم أنهما ضمن تعبيرات كثيرة وصف الله بها المسيح . إلا أن لهما شأناً يغاير كل ما عداهما ذلك أن النصارى تمسكوا بهما احتجاجاً لما يذهبون إليه من تأليه عيسى بعد أن صرفوهما عن حقيقتهما . وزعموا استناداً إلى هذين التعبيرين أن القرآن يؤيد تأليه عيسى - أو أنه اشتمل على ما يشير إلى هذا التأليه - كبرت كلمة

تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا . وهذا ما دعانا إلى أن نختص هاتين اللفظتين - دون سواهما - بالكلام عن معناهما وتوضيح المراد بهما .

(أ) كلمة الله :

يقول تبارك وتعالى : « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم »(١) .

ويقول تعالى :

إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (٢) .

فالمسيح فى هاتين الآيتين هو كلمة من الله أو كلمة الله . ومعنى أنه كلمة الله . أنه تكون بالكلمة . أن الله أنشأه من غير أب وليس من منى يمنى . وأنه أنشأه بالكلمة . والكلمة هى (كن) الدالة على إرادة الله كون الشىء ووجوده . والكلمة - بهذا المعنى - ليست خاصة بعيسى عليه السلام . فكل شىء فى الوجود هو (كلمة الله) بهذا المفهوم . لأن الأسباب المباشرة ليست فاعلة بذاتها وإنما الفاعل الحقيقى هو الله تعالى . فإرادة الله كون الشىء هى الموجدة وهى الفاعلة فى الحقيقة ولكن عيسى عليه السلام اختص بذلك دون بقية الموجودات من حيث أن تأثير الكلمة فيه أظهر ، وعملها فيه أوضح وأشهر . لهذا وصف وحده بأنه كلمة الله . وإلا فكل ما فى الوجود هو كلمة الله بالمعنى الذى بينا .

وعيسى عليه السلام - ليس هو الكلمة كما هو ظاهر النظم الكريم ، وإنما

---

(١) آل عمران . بعض آية : ٤٥ .   (٢) النساء بعض آية : ١٧١ .

هو المحدث بالكلمة ، المكون بالكلمة . ولأنه المكون بالكلمة دون واسطة مباشرة ، أو سبب قريب . عبر عنه التنزيل الكريم بالكلمة . تنبيها إلى أثرها الواضح فيه ، وإلى أنه من أثرها وحدها ، دون ما ألفناه من أسباب وعلل ، فكأنه هو هي ، أو هي هو ، يقول تفسير الجلالين .

« معنى وصف عيسى بالكلمة . أنه المكون بالكلمة من غير أب . أي أنه تكون بكلمته وأمره الذى هو (كن) ، من غير واسطة أب ولا نطفة »(١)

(ب) روح منه :

يقول تباوك وتعالى :

« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »(٢) :

ويقول تعالى :

« ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا »(٣) .

وإنما عبر الله عن المسيح بالروح لأنه جاء من نفخة جبريل . ونفخة جبريل إنما كانت روحاً لأنها ريح نتجت عنها حياة ، فكأنها روح . ولما كانت هذه النفخه سبباً فى إيجاد عيسى ، عبر عنها بالروح لما أن الروح سبب فى حياة الإنسان أو أنها تتوقف عليها حياة الإنسان . وإنما أضيفت الروح إلى الله تعالى مع أنها صادرة عن جبريل عليه السلام ، لما أن ذلك كان بمشيئة

---

(١) تفسير الجلالين حاشية الجمل جـ ١ ص ٤٥١ .

(٢) النساء بعض آية ١٧١

(٣) التحريم . بعض آية : ١٢

الله ، وتنفيذاً لأمره ، فهو الفاعل فى الحقيقة ، يقول تفسير الجلالين :

« وروح منه أى ذو روح منه ، أضيفت إليه تعالى تشريفاً كما يقال (بيت الله) و (ناقة الله) »(١) .

ويقول أبو السعود :

« وروح منه : قيل هو الذى نفخ جبريل عليه السلام فى درع مريم فحملت بإذن الله تعالى ، سمى النفخ روحاً لأنه ريح من الروح ... وقيل سمى روحاً لإحيائه الأموات وقيل لإحيائه القلوب ، وقيل أريد بالروح الوحى الذى أوحى إلى مريم بالبشارة . وقيل جرت العادة بأنهم إذا أرادوا وصف شىء بغاية الطهارة والنظافة . قالوا إنه روح . فلما كان عيسى عليه السلام مكوناً بالنفخ وليس من النطفة وصف بالروح » .

وقد ساق أبو السعود فى هذا المعرض رواية مؤداها أن طبيباً نصرانياً حاذقاً للرشيد ناظر على بن حسين الواقدى المروزى ذات يوم ، فقال له إن فى كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء منه تعالى ، وتلا هذه الآية « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » فقرأ الواقدى قوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » فقال إذن يلزم أن تكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه تعالى عن ذلك علواً كبيراً . فانقطع النصرانى فأسلم . وفرح الرشيد فرحاً شديداً ووصل الواقدى بصلة فاخرة(٢)

* * *

---

(١) جـ ١ ص ٤٥١ . (٢) تفسير أبى السعود ـ جـ ١ ـ ٤٠١ .

٩ - نهاية المسيح على الأرض :

أحكم اليهود مؤامرتهم حول المسيح لقتله ، وعندما جاء موعد أخذه ألقى شبهه على غيره ، فأخذ اليهود الشبيه وصلبوه ، وغفلوا عن المسيح فتركوه .

يقول الله - تعالى - فى معرض الحديث عن مخازى اليهود :

« وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن . بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً (١) » .

هذا ماورد فى القرآن الكريم عن نهاية المسيح عليه السلام ، وهى صورة موجزه ليس فيها شئ من التفصيل عن تلك النهاية .

ولكننا بعد تقصى أخبار هذه الفترة ومانقلته الأناجيل عن هذه الحادثة ، نستطيع أن نرسم صورة أقرب إلى الحقيقة عما حدث فى الشأن .

فلقد أخذ اليهود تصريحاً من الحاكم بالقبض على المسيح ، وذهب الجنود الرومان للقبض عليه ، ولما لم يكونوا يعرفون شخصه اتفقوا مع أحد تلاميذه على أن يدلهم عيه مقابل قدر من المال . وحين ذهب هذا التلميذ الخائن مع الجند ليدلهم على المسيح ، ودلهم عليه فعلا وعرفوا ألقى الله شبه المسيح على هذا الخائن . وألقى على المسيح شبهاً يخالف شبهه الذى عرفه الجند به . وهنا تحول الجند إلى التلميذ فقبضوا عليه وأخذوه وحاكموه ثم صلبوه أما المسيح فقد انسل من بينهم وخرج فى هدوء دون أن يعرف حقيقته أحد ثم ابتعد عن بنى إسرائيل بعد أن رفضوا دعوته وحاولوا قتله ، وعاش

---

(١) النساء الآيات :١٥٧ - ١٥٨ .

مختفياً تحت شبهه الجديد بعيداً عن اليهود حتى استوفى أجلة وافى ربه » .

. ولما كان عيسى عليه السلام مرسلا إلى بنى إسرائيل خاصة ، ولما كان قد تركهم واختفى من وجوههم، فقد اعتبرت رسالته منتهية منذ ذلك الوقت .

. . .

١٠ — وفاه عيسى ـ عليه السلام ـ ورفعه :

اختلفت الآراء حول وفاة عيسى عليه السلام ورفعه . وقد تأثر بعض المسلمين فى بعض هذه الآراء بالإسرائيليات، وبآراء منقولة عن وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام ، ودرجتهما عند علماء الجرح والتعديل فى الحديث ليست على مايرام . وقد جاء فى تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى :

« إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى » (١) .

أن الأستاذ الشيخ (محمد عبده) قرر أن الآية على ظاهرها . وأن التوفى هو الإماتة العاديه ، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح وقد تعرض الأستاذ الأمام للحديث الذى ينسب إلى الرسول ﷺ والذى يقول إن المسيح رفع إلى السماء بجسده وروحه وأنه ينزل آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال . إن هناك تخريجين لهذا الحديث :

١ — أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى والأمور الاعتقادية لايؤخذ فيها إلا بالقطعى ، لأن المطلوب فيها اليقين ، وليس فى الباب حديث واحد متواتر .

---

(١) سورة آل عمران ـ بعض آية : ٥٥ .

٢ ــ أن الدجال ليس إلا رمزاً للدجل والخرافات . وأن ذلك يزول بشريعة الإسلام الغراء وبالقرآن والسنة التى حلت محل اعتقاد اليهود فى مسيح يأتى ليملأ الأرض عدلا ونوراً (١) .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار(٢) : إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قوله تعالى : « ورافعك إلى » . وكل ما تدل عليه الآية أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه . وإنما السلطان فيه ظاهراً وباطناً لله تعالى .

فقوله تعالى . « إلى » هو كقوله فى لوط : « إنى مهاجر إلى ربى »( ). فليس معناه إنى مهاجر إلى السماء . بل هو على حد قوله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله »(٤) .

ولعل من الأبحاث الشاملة حول هذه النقطة ما كتبه الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، وفيما يلى ملخص هذه الدراسة (٥) :

معنى التوفى والرفع : كلمة التوفى وردت فى القرآن كثيراً بمعنى الموت . فكلمة (توفيتنى) تفيد المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية . وأما كلمة « رفعه الله إليه » فلا تفيد رفعه بالجسم كما قال بعض المفسرين محتجين بأن الرسول قابله ليلة المعراج فى السماء لأن حديث المعراج ذكر اجتماع محمد بغير عيسى من الأنبياء ، مما يدل على أن الاجتماع كان روحياً لا جسمانية ، وقد فسر

---

(١) اقرأ تفسير المنار عند تفسير الآيات السابقة .

(٢) قصص الأنبياء ـ ص٥١١ (٣) سورة العنكبوت ـ بعض آية : ٢٦

(٤) سورة النساء ـ بعض آية : ٩

(٥) الفتاوى ـ الشيخ محمود شلتوت . ص٥٢ ـ ٥٧ بتصرف .

الألوسى قوله تعالى : « إنى متوفيك » وجوه أهمها : إنى مستوف أجلك ومميتك موتاً طبيعياً لا أسلط عليك من يقتلك ، والرفع الذى كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد . خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله تعالى: « ومطهرك من الذين كفروا » . مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم

ولقد جاء الرفع كثيراً فى القرآن بهذا المعنى . قال تعالى :

١ — « فى بيوت أذن الله أن ترفع » .

٢ — « نرفع درجات من نشاء »(٢) .

٣ — « ورفعنا لك ذكرك »(٣) .

٤ — « ورفعناه مكاناً عليا »(٤) .

٥ — « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »(٥) .

وإذن فالتعبير بقوله تعالى : « ورافعك إلى » . وقوله تعالى : « بل رفعه الله إليه » . كالتعبير فى قولهم : لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفى « إن الله معنا »(٦) وفى : « عند مليك مقتدر »(٧) . وكلها لا يفهم منها سوى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس .

وإذا استدل البعض بقوله تعالى : « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » على أن عيسى عليه السلام رفع إلى محل الملائكة المقربين : أجبناه

---

(١) سورة النور ـ بعض آية : ٢٦ (٢) سورة الأنعام ـ بعض آية ٨٣

(٣) سورة الانشراح . آية : ٤ (٤) سورة مريم ـ آية : ٥٧ .

(٥) سورة المجادلة ـ بعض آية ١١ (٦) سورة التوبة ـ بعض آية : ٣٠

(٧) سورة القمر ــ آية : ٥٥ .

بأن كلمة المقربين ، وردت فى غير موضع من القرآن الكريم دون أن تفيد معنى رفع الجسم . قال تعالى :

١ – « السابقون السابقون . أولئك المقربون » (١)

٢ – فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم » (٢) .

٣ – « عينا يشرب بها المقربون » (٣) ..

ويقول السيد محمد رشيد رضا عن هذا الموضوع : ليس فى القرآن الكريم نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء . وليس فيه نص صريح فى أنه ينزل من السماء . وإنما هى عقيدة أكثر النصارى . وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين » (٤) .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : « ليس فى القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه . والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله . كما قال تعالى فى إدريس عليه السلام : « ورفعناه مكاناً علياً » . فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وغيره من الأنبياء .

. . .

(ا) – القول بهجرة المسيح – عليه السلام – إلى الهند

تشيع بعض الآراء التى يقوى اعتقاد بعض العلماء فيها أن عيسى عليه السلام قد هاجر إلى الهند عقب محاولة صلبه ، وبعد إنقاذ الله إياه . وهذه

---

(١) سورة الواقعة آية : ١١ (٢) سورة الواقعة آية : ٨٨

(٣) سورة المطففين آية : ٢٨

(٤) الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار .

الآراء ترى أنه - عليه السلام - عاش فى الهند عيشة عادية حتى استوفى أجله ثم لحق بربه كإخوانه من الأنبياء والمرسلين وسائر خلق الله أجمعين .

وقد نقل صاحب كتاب (عقيدة الصلب والفداء) (١) عن غلام أحمد القاديانى الهندى : أنه توجد فى بلدة (سرى نكر) بكشمير فى الهند مقبرة فيها مقام عظيم يقال هناك إنه مقام نبى جاء إلى بلاد كشمير من زهاء ألف وتسعمائة سنة . واسم هذا النبى هو (عيسى صاحب) . وكلمة (صاحب) هذه فى الهند هى لقب تكريم مثل لقب (الشيخ) عندنا ، أو (الأفندى) عند الأتراك ، ويشاع هناك عن صاحب هذه المقبرة أنه نبى من أنبياء بنى إسرائيل . وهذا الخبر معروف فى الهند ومشهور حتى إنه موجود فى كثير من كتب التاريخ والسير عند الهنود .

وغلام أحمد هذا يفسر الإيواء فى قوله تعالى :

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »(٢) بالهجرة إلى الهند واللجوء إلى تلك البلدة فى كشمير . فإن الإيواء يستعمل فى مقام الإنقاذ والتنجية من الهم والكرب والمخاوف والمصائب . واستشهد على ذلك بقوله تعالى :

١ - « ألم يجدك يتيما فآوى » (٣) .

وقوله تعالى :

٢ - « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن

---

(١) هو السيد محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار . ص : ٤٩ - ٥١

(٢) سورة المؤمنين آية : ٥٠ (٣) سورة الضحى - آية : ٦

يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » (١) .

وقوله تعالى حكاية عن ولد نوح :

٣ — « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » (٢) .

والربوة المكان المرتفع وبلاد كشمير من أعلا بلاد الدنيا . وهى ذات قرار مكين ، وماء معين . والمشهور عند المفسرين أن هذه الربوة هى رملة فلسطين أو دمشق الشام . ولو آوى الله المسيح وأمه إليهما لما خفى مكانهما فيهما . ولا سيما إذا كان ذلك بعد محاولة صلبة وتألب اليهود عليه . كما يدل عليه لفظ الإيواء ، الذى لم يستعمل فى القرآن إلا فى مقام الإنقاذ من المكروه . كما علم من الأمثلة المذكورة . وكما فى قوله تعالى عن الأنصار رضى الله عنهم :

٤ « والذين آووا ونصروا » (٣) .

وقوله تعالى فى يوسف عليه السلام :

٥ — « آوى إليه أخاه » (٤) .

وفى آية أخرى :

٦ — « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه » (٥)

ولم يكن المسيح قبل تألب اليهود عليه والسعى لقتله وصلبه فى مخافة يحتاج فيها إلى الإيواء فى مأمن منها .

ففراره إلى الهند ، وموته فى ذلك البلد ، ليس ببعيد عقلا ولا نقلا .

* * *

---

(١) سورة الانفال ـ آية : ١٦ . (٢) سورة هود ـ بعض آية : ٤٢

(٣) سورة الانفال ـ بعض آية : ٧٤ . (٤) سورة يوسف آية : ٦٩

(٥) سورة يوسف آية : ٩٩

هذا ما نقله السيد / محمد رشيد رضا عن غلام أحمد القادياني الهندي في النهاية التي انتهى إليها المسيح عبد الله ورسوله - عليه السلام - بعد أن أنجاه الله - تعالى - من اعتداء اليهود على حياته .

ونحن نرى أنه لا سبيل إلى القطع في ذلك برأي . وإن كنا نرى أن انتقال المسيح - عليه السلام - إلى قرى كشمير من بلاد الهند أمر يصعب التسليم به ، لبعد الشقة وصعوبة الوصول . وأن القول بإيوائهما إلى بلاد الشام أو فلسطين أقرب إلى التصديق ، ولا يقدم في ذلك الخوف من أن يعرف اليهود مكانه لقرب المكان وانتشار اليهود فيه . لأن المسيح - عليه السلام - قد ألقى الله عليه صورة تغاير صورته ، فلا أحد يعرف ، ولأن اليهود قد اعتقدوا أنهم صلبوه ، فلن يبحثوا عنه ، حتى ولو رأوا شبيهاً له .

وعلى أي الأحوال فإن ما يهمنا هنا هو تقرير أن المسيح - عليه السلام - لم يرفع بجسده وإنما الذي رفع هو روحه فقط كبقية إخوانه من أنبياء الله - عليهم السلام - .

وبعد ذلك ليس مما يهمنا أن نحقق المكان الذي ذهب إليه بعد ذلك . فإننا مؤمنون بأن الله - تعالى - قد أحاطه بعنايته أياً كان المكان الذي حل فيه ، حتى استوفى أجله ثم لقي ربه غير مضيع ولا مفرط - ﷺ وبارك على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين - .

• • •

الفصل الثانى

المسيح فى عقيدة النصارى

تختلف مصادر المسيحية ، وأهمها الأناجيل الأربعة فى مولد المسيح ، ونسبه ، وما رافق هذا المولد من أمور عجيبة وخارقة .

ولكننا فى كلامنا هنا سوف نحاول أن نلم بهذه المصادر بحيث نكون منها رواية شبه كاملة وقريبة إلى التناسق والتوافق ، توضح لنا عقيدة النصارى فى المسيح - عليه السلام - .

. . .

١ - زكريا : (١)

كان فى هيكل اليهود كاهن اسمه (زكريا) ، وكان رجلا صالحاً وتقياً ، وكان متزوجا من امرأة صالحة من ذرية هارون . واسم هذه المرأة (اليصابات) ولم يكن لهما ذرية ، إذ كانت اليصابات عاقراً . وكانا إلى ذلك متقدمين فى السن .

وبينما زكريا فى نوبة كهانته داخل الهيكل ، ظهر له (ملاك الرب) ، وبشره بأن الله قد سمع لشكايته ، وأنه سوف يرزق ولداً صالحاً وتقياً . وأن ذلك الولد الصالح سيدعى (يوحنا) . ولما طلب منه زكريا دليلا على صدق هذا الكلام . قال له إن آية صدقى أن الله سيعقل لسانك عن الكلام فلا تستطيع أن تكلم أحداً حتى تلد امرأتك ، وخرج زكريا على الناس لا يستطيع الكلام . وإنما كان يكلمهم بالإيماءة والإشارة (٢) .

---

(١) قصة زكريا هذه لم يرد لها ذكر إلا فى إنجيل لوقا وحده - ١ : ٥ — ٢٥ ، ٧٥ — ٨٠

(٢) لوقا — ١ : ٥ — ٢٢

٢ - الحمل بالمسيح :

وفى الشهر السادس من حمل اليصابات زوج زكريا - أرسل الله (جبرائيل) إلى عذراء من بلدة الناصرة . وهذه العذراء اسمها (مريم) . وهى مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه (يوسف) ، ودخل الملاك على مريم وحياها . فأخذ الخوف مريم وأحاطتها الظنون . وحينئذ قال لها الملاك .

« لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » (١)

ولما سألته :

« كيف يكون ذلك وأنا لست أعرف رجلا ، قال لها : الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك »(٢) .

ثم ذكر لها الملاك دليلا على قدرة الله فى منح الولد لمن يشاء دون ارتباط بالأسباب العادية . فقال لها بأن اليصابات زوج زكريا رغم أنها عاقر وأن سنها متقدمة فإنها حامل فى شهرها السادس . وهى التى كانت قبل ذلك تدعى عاقراً (٣)

• • •

٣ — مولد يوحنا :

وحين اكتملت أيام حمل اليصابات ، وضعت ولداً ذكراً . وفى اليوم الثامن من ولادته اجتمع أقارب الوالدين ليحتفلوا بالوليد ويختنوه ويسموه .

---

(١) لوقا ١ : ٣٠ - ٣١ .   (٢) لوقا ١ - ٣٤ - ٣٥ .
(٣) لوقا ١ : ٣٦ - ٣٩ .

وأرادوا أن يسموه زكريا على اسم أبيه . ولكن أباه - الذى ظل عاجزاً عن الكلام منذ بشر بولده - أخذ قلما ولوحاً وكتب اسم ابنه الذى عينه له الملاك حين بشره به . وهذا الاسم هو (يوحنا) . وحينئذ انطلق لسان زكريا ، وعادت إليه القدرة على الكلام . (١)

. . .

٤ - بين مريم وخطيبها .

حملت مريم من الروح القدس . وحينما ظهر عليها الحمل ، ورأى خطيبها ذلك لم يشأ أن يفضحها أو يشهر بها وبنشر بين الناس أنها حملت من غيره وهى مخطوبة له . ولذلك انتوى أن يتركها ويقطع مابينه وبينها سراً . وفيما هو يفكر فى ذلك إذا (ملاك الرب) يظهر له فى الحلم ويأمره بألا يتخلى عن مريم لأن الذى تحمله ليس من الزنا ، بل الروح القدس :

« ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك قد ظهر له فى حلم قائلا يوسف بن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع (٢) » .

وحينما اقتربت أيام حمل مريم أن تكتمل، صدر أمر من الحاكم بإحصاء جميع أفراد الشعب ، وذهب كل فرد إلى بلدة التى فيها عشيرته ليحصى نفسه معهم ، ولأن عشيرة (يوسف) خطيب مريم فى بلدة بيت لحم فلقد أخذ يوسف مريم ثم ذهبا إلى بيت لحم ليحصى نفسه مع عشيرته . وفى (بيت لحم) وضعت مريم ولدها البكر ، ولأن المنزل لم يكن به مكان لمريم وخطيبها إذ كان غاصاً بأهله . فقد وضعت مريم ابنها فى مذود للدواب .

---

(١) لوقا ١ : ٥٧ - ٦٦ . (٢) متى ١ : ١٩ - ٢١ .

« ... فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة . إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود . إذ لم يكن لها موضع في المنزل » (١)

• • •

٥ — إرهاصات وخوارق :

تذكر الأناجيل روايات عن خوارق كثيرة حدثت عند ميلاد المسيح -عليه السلام- . وهناك اختلاف كبير بين الأناجيل حول الخوارق . فمنها أناجيل لم تذكر شيئاً عن تلك الخوارق الخاصة بالميلاد . ومنها ماذكر روايات لم يذكرها الآخر ، وسكت عن روايات ذكرها . ونحن نشير إلى بعض هذه الخوارق بإيجاز .

(ا) في الليلة التي ولد فيها المسيح ، كان يوجد رعاة يحرسون مواشيهم ليلا وإذا (ملاك الرب) يظهر لهولاء الرعاة فتضيء أنواره ظلام الليل . وحين يجفل الرعاة خوفاً منه يطمئنهم قائلا .

«لاتخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لجميع الشعب ، إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامه تجدون طفلا مقمطاً مضجعاً في مذود ، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله قائلين : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»(٢) .

(ب) في الليله التي ولد فيها المسيح جاء مجوس من المشرق إلى اورشليم قائلين :

---

(١) لوقا ٢ : ٤ - ٧ .

(٢) لوقا ٢ : ١٠ - ٥ وهذه الخارقة انفرد بذكرها لوقا .

« أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمة فى المشرق، وآتينا لنسجد له (١) » .

فلما سمع بذلك (هيرودس) ملك اليهود ، خاف على ملكه من ذلك المولود . وجمع الكهنة وسألهم . أين يولد ذلك المسيح ؟ فقالوا له إنه يولد فى بيت لحم اليهودية . وعند ذلك دعا هيرودس المجوس وقال لهم اذهبوا وتحققوا من وجود ذلك المولود ثم أخبرونى حتى أسجد له أنا أيضاً . وكان هيرودس يريد بذلك أن يعرف منهم مكان الصبى ليقتله . ولكن المجوس بعد أن عرفوا مكان الصبى وسجدوا له رأوا فى الحلم من يأمرهم بعدم إخبار هيرودس بمكان الصبى . فانصرفوا من طريق آخر .

(حـ) وحينما ذهب المجوس ولم يعودوا إلى هيرودس بخبر الصبى . لم يجد هيرودس بدأ من قتل جميع الأطفال حتى سن سنتين . وحينئذ ظهر ملاك الرب ليوسف فى الحلم وقال له :

« قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك . لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه » (٢) .

فانصاع يوسف لأمر الملك وأخذ الطفل وذهب به إلى مصر . وظل يوسف هو ومريم والطفل فى مصر حتى هلك هيرودس وحينئذ جاءه الملك ثانية وأمره بالعودة .

« فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر

---

(١) متى ٢ : ١ - ٤ : (٢) متى ٢ : ١٣ :

قائلا : « قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي »(١) .

ثم ظهر هذا الملاك ثالثة ليوسف فى حلم وأمره أن يسكن فى مدينة (ناصرة) خوفاً من خليفة هيرودس . ولكى يدعى المسيح (ناصرياً) كما هو الوحى(٢) .

(د) بعد أيام من ولادة المسيح أخذته أمه وخطيبها يوسف معها ثم ذهبا به إلى أورشليم لكى يقدما عنه ذبيحة (البكر فاتح الرحم) كما هى شريعة بنى إسرائيل وهناك كان يوجد رجل صالح يسمى (سمعان) ألهمه الله أنه لن يموت حتى يرى المسيح المنقذ . وحينما رأى سمعان هذا المسيح مع أمه عرفه :

« وأخذه على ذراعيه وبارك الله وقال : الآن تطلق عبدك يا سيد .. لأن عينى أبصرتا خلاصك »(٣) .

(هـ) وكذلك كانت هناك فى الهيكل نبية تسمى (حنة) ، لم تفارق الهيكل لمدة أربعة وثمانين عاماً ، حينما رأت المسيح مع أمه وهو طفل عرفته وأخبرت عنه الموجودين »(٤) .

• • •

٦ — المسيح فى مصر :

أشرنا فيما سبق إلى أن يوسف خطيب مريم أم المسيح أخذها ومعها ابنها المسيح ثم هرب بهما إلى مصر تحقيقاً لرؤيا رآها . ويذكر مؤرخو المسيحية

---

(١) متى ٢ : ١٩ - ٢٠ (٢) هذه الخارقة والتى قبلها انفرد بهما متى .

(٣) لوقا ٢ : ٢٨ — (٤) لوقا - ٢ : ٢٦ - ٢٩ : وهذه الخارقة والتى قبلها انفرد بهما لوقا .

أن يوسف وخطيبته أقاما مدة هروبهما بمصر بالوجه القبلي بجهة (قسقام) فى مكان يوجد فية الآن دير مشهور يسمى (دير العذراء أو دير المحرق) وذلك بمحافظة أسيوط .

ثم جاء الملك فى الحلم ليوسف هذا وأمره بالهجرة من مصر إلى أرض إسرائيل حيث قدم . فسار يوسف شمالا من محافظة أسيوط حتى وصل إلى مصر القديمة ، فأقام هناك بعض الوقت فى المكان الذى يوجد فيه الآن كنيسة القديس سرجيوس المشهورة بكنيسة أبى سرجة . ثم انتقلوا من هذا المكان إلى عين شمس . ومروا بالمطرية . وهناك استظلوا بشجرة العذراء أوشجرة مريم . ومكانها مشهور حتى الآن هناك .

وقد اختلف المؤرخون فى المدة التى قضاها المسيح وأمه منذ خروجهم إلى مصر حتى عودتهم إلى فلسطين . فقدرها بعضهم بستة أشهر ، وبعضهم بسنة ، وبعضهم بسنتين ، وآخرون بأربع سنوات(١).

. . .

٧ – المسيح فى الهيكل :

عندما عاد المسيح مع أمه إلى فلسطين أقام فى الناصرة . وكانت أمه وخطيبها يذهبان كل عام إلى اورشليم ومعهما الصبى لتمضية أيام عيد الفصح وبعد إنتهاء أيام العيد كانوا جميعاً يعودون مع كل العائدين من أورشليم إلى مدينتهم الناصرة . وحدث ذات زيارة من هذه الزيارات بعد أن انتهت أيام عيد الفصح ، وعاد يوسف ومريم إلى الناصرة ، أن تخلف عنهم الصبى يسوع . وكانت سنه آنذاك اثنتى عشرة سنة . وبعد أن بحثا عنه وجداه جالساً فى الهيكل يستمع إلى دروس الكهنة ويناقشهم مناقشة فوق سنه بكثير ، دهش لها العلماء والحاضرون(٢) .

. . .

---

(١) تاريخ الأقباط ـ زكى شنوده ـ ص ٤٣-٤٤ . (٢) لوقا ٢: ٤١-٥٠ .

٨ — بين المسيح ويوحنا :

كان يوحنا بن زكريا يعمد الناس بماء النهر ، ويعظهم . وكان كثير من الناس يذهبون إليه ليعمدهم . ولما سمع المسيح بذلك ذهب إلى يوحنا ليعتمد منه . ولما رآه يوحنا عرفه وقال له :

« أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي . فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له » (١)

. . .

٩ — بين المسيح والشيطان

وعندما اعتمد يسوع من يوحنا ذهب إلى البرية فصام أربعين نهاراً وأربعين ليلة ثم جاع أخيراً فتقدم إليه الشيطان ليجربه ويغويه

« فقال له : إن كنت ابن الله حقاً فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً »(٢)

فقال يسوع للشيطان :

« مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله (٣) » فأخذه الشيطان ليجربه ثانية فذهب به إلى الهيكل وأوقفه على جناح الهيكل ثم قال له :

« إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك »(٤)

---

(١) متى ٣ : ١٤ - ١٥ (٢) متى ٤ : ٣

(٣) متى ٤ : ٤ (٤) متى ٤ : ٦

فقال له يسوع :

« مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك »(١)

ثم أخذه الشيطان ليجربه للمرة الثالثة فأصعده على جبل عال وأراه جميع ممالك العالم وقال له أعطيك جميع هذه الممالك إن خررت وسجدت لى. فنهره يسوع وطرده وقال له:

« إذهب ياشيطان لأنه مكتوب : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد(٢) »

وحينئذ تركه إبليس ونزل جند من الملائكة فصاروا يخدمونه ويلبون طلباته

. . .

١٠ — المسيح يتصدى للدعوة

وبعد ذلك قام المسيح عليه السلام لحمل أعباء الدعوة واختار لنفسه اثنى عشر تلميذاً ، سموا بالحواريين وقد ظل هؤلاء معه مدة دعوته وذهب راضياً عنهم سوى (يهوذا) الذى أسلمه ثم اختار المسيح من أتباعه دعاة أرسلهم إلى المدن والقرى للتبشير والدعوة. وقد أيد الله المسيح بالمعجزات الكثيرة العجيبة فهو يحيي الموتى ، ويبرىء المرضى ، ويخرج الشياطين ويطرد الأرواح النجسة من أجسام الناس ، ويفتح أعين العمى ، ويشفى عقول المجانين ويأمر الرياح الثائرة فتهدأ ، والأمواه الصاخبة فتستجيب(٣)

. . .

١١ — بين اليهود والمسيح

حينما ابتدأ المسيح دعوته جن جنون اليهود ، وتحركت فيهم العوامل

---

(١) متى ٤ : ٧ (٢) متى ٤ : ١٠ ، لوقا ٤ : ٨

(٣) معجزات المسيح استغرقت أجزاء كبيرة من الأناجيل .

الموروثة من العداء للأنبياء والشعب عليهم . فوقفوا في وجه المسيح، واجتمع رؤساء الكهنة وتشاوروا في أمره . فاتفقوا على قتله ، وأخذوا يوغرون عليه صدر (بيلاطس) حاكم فلسطين في ذلك الوقت . واتهموا المسيح عند بيلاطس بأنه يحرض على عدم إعطاء الجزية للقيصر . وبأنه يثير الشعب ضد الدولة . ثم توعدوا الحاكم بأنهم سيرفعون الأمر إلى القيصر إن لم يستجب لهم ويوافق على قتل المسيح .

ولما أحس عيسى منهم المؤامرة هرب منهم واختفى . ولكنهم اتفقوا مع أحد تلاميذه الاثنى عشر . واسمه (يهوذا الاسخريوطي) على أن يدلهم عليه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة . ودلهم عليه يهوذا فقبضوا عليه وأخذوه إلى الكهنة ليحاكموه . وحكم عليه الكهنة بالموت بعد محاكمة صورية كان الكهنة قد اتفقوا على الحكم فيها مسبقا . وبعد أن انتهت محاكمة اليهود للمسيح أخذوه إلى الحاكم بيلاطس ، وطلبوا منه أن يوافق على قتله صلباً . ولكن الحاكم لم ير فيه ما يستوجب القتل ،فحاول إرجاع اليهود عن عزمهم . ولكنهم أثاروا عليه الشعب والفتنة . ولما رأى الحاكم أن لا بد من قتله ، أخذ ماء وغسل يديه أمام جميع الشعب قائلا « أنا برىء من دم هذا البار »، فقال اليهود حينئذ: «دمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا» وهنا أسلمه إليهم الحاكم ليقتلوه ويصلبوه بعد أن جلده(١) .

• • •

١٢ — صلب المسيح وقيامته

أخذ اليهود المسيح وحملوه صليباً خشبيا ثم ذهبوا به إلى المكان الذى سيصلب فيه ، وهم يهزأون به ، ويلطمونه ، ويضربونه ،ويبصقون في وجهه

(١) انظر تفاصيل محاكمة اليهود للمسيح في متى اصحاح ٢٩ . وبقية الأناجيل .

وقد ضفروا له إكليلا من الشوك ووضعوه على جبينه وألبسوه رداء أحمر وهو اللباس الخاص بالملوك ، استهزاء به لا دعائه بأنه ملك اليهود

وعندما وصلوا إلى مكان الصلب ، ثبتوا الصليب الذى كان يحمله فى الأرض ثم رفعوه فوقه حتى مات ثم دفن ، وبعد ثلاثة أيام ، قام من الأموات ، وظل أربعين يوماً مع تلاميذه يعلمهم ويوضح لهم طريقهم ، ثم بعد ذلك صعد إلى السماء أمامهم ، بعد أن أوصاهم بالجد والاجتهاد فى نشر الدعوة وتعميد الناس باسم الآب والابن والروح القدس

• • •

١٣ — إله وابن إله

من هذا الذى تقدم تتضح صورة المسيح فى عقيدة النصارى

فهو إله ، وهو ابن إله ، وهو الأقنوم الثانى فى الثالوث المقدس عند النصارى الذى يتكون من الآب والابن والروح القدس

• • •

الفصل الثالث

المسيحية

الدين الحق .. كما أخبر به الكتاب العزيز

لقد تضمن الكتاب العزيز إشارات وافية عن رسالة المسيح كدين سماوي حق. ولقد تمت هذه الإشارات القرآنية عن المسيحية كل ما لحق بها من شوائب الضلال والزيغ، على يد من ينتسبون إليها ممن يسمون عند النصارى بالرسل وعلى رأسهم (برلس) الذي يعد بحق مؤسس النصرانية الحالية؛ وواضع عقائدها وشرائعها، وإليه تنسب أعظم المفتريات الدخيلة التي لحقت بدين سماوي في تاريخ الأديان.

وسنحاول في هـذا الفصل — بمشيئة الله وعونه — أن نجمع هذه الإشارات إلى بعضها لنكون من ذلك صورة واضحة للمسيحية الحقة، بعيدة عن المفتريات والأضاليل التي كفرتها وشوهت حقيقتها.

. . .

١ — لا إله إلا الله، عيسى عبد الله ورسوله.

ينص الكتاب العزيز على أن عيسى — عليه السلام — ما دعا إلا إلى التوحيد الكامل، التوحيد بكل شعبه، في الألوهية، في الربوبية، في الذات، في الصفة، في الخلق، في التكوين. فلا معبود إلا الله، ولا خالق إلا الله، ولا رب إلا الله، ولا شبيه ولا مثيل لله في ذات ولا في صفة ولا في فعل.

يقول تعالى:

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح

يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار(١) »

وهذا هو ما يقرره - عليه السلام - يوم يجمع الله الرسل، ويسأل عيسى عن هذه الفرية الباطلة . يقول تعالى :

« وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد »(٢)

وعيسى عبد الله ورسوله فليس إلها ، ولا جزءاً من إله ، وهو ذو طبيعة واحدة ، هى طبيعة البشر أجمعين لا ذو طبيعتين ، ولا ذو أقنومين ولا له مشيئتان ، وإنما هو بشر كـكل البشر ، اختصه الله بالرسالة إلى بنى إسرائيل خاتما لأنبيائهم ورسلهم ، وجعله وأمه آية لهم ، وجعله آية للناس ورحمة .

يقول تعالى :

« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله »(٣)

---

(١) المائدة : الآية ٧٢ (٢) سورة المائدة : الآيات : ١١٦-١١٧

(٣) سورة النساء : من الآية : ١٧١

ويقول تعالى :

« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (١) .

ويقول تعالى :

« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم (٢)» .
وعيسى ابن مريم عبد الله . بكل ما تحتمله العبودية من معاني الخضوع لقضاء الله ومشيئته ، فليس بينه وبين الله صلة قرابة أو نسب ، بل تحت خطر قضاء الله إن شاء أن يعذبه عذبه وإن شاء أن يهلكه أهلكه، يقول تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً » (٣) .

. . .

٢ — الإنجيل :

وينص الكتاب العزيز على أن الله أنزل على المسيح عليه السلام كتاباً هو الإنجيل .

وهذا الكتاب جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة . يشتمل على مواعظ وزواجر . وفيه بالإضافة إلى ذلك بعض أحكام تخالف ما جاء في التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام . فهو إذاً مصدق لها في الجملة . ولا يقدح في ذلك

---

(١) سورة المائدة بعض آية : ٧٥ . (٢) سورة الصف بعض آية : ٦ .
(٣) سورة المائدة بعض آية : ١٧ .

مخالفته لها فى بعض الأحكام . لأنها أحكام جزئية . ولأنها مفردات معدودة لا تقاس بالنسبة لشريعة موسى فى جملتها .

يقول تعالى مشيراً إلى أن الإنجيل مصدق لما جاء فى التوراة :

« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين »(١) .

ولأن الإنجيل فيه هدى وموعظة للمتقين . ولأنه يدعو إلى التوحيد الكامل - كما أشرنا فى الفقرة السابقة - ولأن الإنجيل يبشر برسالة محمد ﷺ، ولأنه أمر أتباعه باتباعه حين بعثته . لكل ذلك كان على أتباع الإنجيل أن يحكموا به وأن يسيروا على هديه . فإنهم لو فعلوا لما وسعهم إلا اتباع خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام واتباع كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

يقول تعالى :

« وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (٢) .

ويقول تعالى مشيراً إلى أن الإنجيل جاء ناسخاً لبعض أحكام التوراة الخاصة بالحل والحرمة . فيقول تعالى على لسان عيسى عليه السلام مخاطباً قومه :

« ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم »( )

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٦

(٢) سورة المائدة الآية : ٤٧

(٣) سورة آل عمران : بعض آية : ٥٠

ومن هذا يعلم أن ما ذهب إليه الكثيرون من الباحثين من أن الإنجيل لم يرد فيه تحريم ولا تحليل، ولم يرد فيه تشريعات على الإطلاق، غير صحيح وغير دقيق فإن الكتاب العزيز ينص صراحة على أن عيسى قد جاء فأحل بعض ما حرمته التوراة .

ومن هؤلاء الذين أشرنا إلى خطئهم الإمام الشهرستانى فى كتابه (الملل والنحل) حيث يقول :

« والإنجيل النازل على عيسى عليه السلام لا يتضمن أحكاماً ، ولا يستبطن حلالا ولا حراماً ، ولكنه رموز وأمثال ومواعظ وزواجر ، وما سواها من الشرائع والأحكام فحالة على التوراة » (١) .

• • •

٣ ـ هذا الإنجيل لا وجود له

ذكرنا فيما سبق أن الله تبارك تعالى أنزل على عيسى عليه السلام كتاباً هو الإنجيل ، وهذا الإنجيل ليس واحداً من هذه الاناجيل المعروفة لدى النصارى الآن ولا يمت لها بصلة والنصارى أنفسهم معترفون بأن هذه الاناجيل التى يتداولونها لم ينزل واحد منها على عيسى عليه السلام ولم يرها وإنما هى كتب ألفها بعض النصارى وهى أشبه عندنا بكتب السير الشخصية التى يكتبها المؤرخون لبعض الاشخاص فهى تذكر أخبار المسيح منذ ولادته حتى صلبه ـ فى زعمهم ـ فهى تذكر أخبار المسيح ، وقصصه ، وخطبه ومواعظه ، ومحاوراته ، وابتداء أمره وانتهاءه فى هذه الدنيا كما يعتقدون هم

---

(١) حـ ١ ـ ص ١٩٠ ـ تحقيق محمد فتح الله بدران

ومع اعتراف النصارى بأن هذه الأناجيل الموجودة الآن ليس منها واحد كتبه المسيح أو حتى سمع به . فإن هذه الأناجيل نفسها معترفة بأن المسيح كان له إنجيل خاص به . وأنه كان يدعو بهذا الإنجيل فى المجامع ويبشر به فى قومه بنى إسرائيل . والأناجيل مليئة بالعبارات التى تتكلم عن إنجيل المسيح هذا الذى كان يعظ به ويدعو إليه . والذى لا وجود له الآن بين هذه الأناجيل أو الرسائل التى يدين بها النصارى .

ففى إنجيل متى يقول المسيح مخاطباً تلاميذه :

« الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى هذا العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها » (١) .

وفى إنجيل مرقس :

« جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (٢) .

وفى نفس الإنجيل أيضاً يقول المسيح :

« ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها » (٣) .

وإذا كانت الأناجيل التى يعتقد النصارى أنها كتبت بإلهام معترفة بأنه قد كان للمسيح إنجيل يدعو الله ويبشر به . وأن هذا الإنجيل ليس

---

(١) ١٦ : ١٠

(٢) ١ : ١٤ - ١٥ .

(٣) ٨ : ٢٥ .

واحداً من هذه الأناجيل أو الرسائل . لأنها كتبت على يد أناس نسبت إليهم . وليس فيها واحد منسوب إلى المسيح . لأن المسيح كان يعظ بإنجيله كما يقول إنجيل مرقس . ولأن أقدم إنجيل من هذه الأناجيل الموجودة كتب بعد المسيح بحوالى ٦٥ سنة . فهذا يعنى — مرة أخرى — أن إنجيل المسيح ليس واحداً من هذه الأناجيل وليس هو موجوداً الآن .

وهذا ما يخبرنا به الكتاب العزيز حين يقرر أن أهل الكتاب قد حرفوا وغيروا وبدلوا فى كتبهم . وأنه ليس بين أيديهم كتاب صحيح كما أنزله ربه الكتاب . يقول تبارك وتعالى :

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير » (١) .

* * *

٤ — المسيحية قد حرفت

ينص الكتاب العزيز على أن دعوة المسيح قد شوهت وحرفت من بعده . وأن المسيحية التى نراها الآن تختلف تماماً عن المسيحية التى دعا إليها المسيح عليه السلام .

فالنصارى نسوا تعاليم المسيح . وحرفوا وغيروا منها . واستبدلوا التعاليم الوثنية بتعاليمها الإلهية السمحة . وكان ذلك نتيجة لاختفاء إنجيل المسيح الذى كان هو الثبت الوحيد والمصدر الحقيقى لتعاليم المسيحية الصافية الصادقة . ولقد كان إخفاء إنجيل المسيح عملا متعمداً مقصوداً من هؤلاء

الذين أرادوا تشويه المسيحية . وعلى رأسهم (بولس) . فهؤلاء حين أرادوا تشويه المسيحية بدأوا بإخفاء إنجيل المسيح . ثم بعد ذلك خلا الجو لسمومهم نفثوها فغيروا وجه الحق وألبسوه قناعاً من الزيف والضلال يقول تعالى :

«ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به»(١)

وأكبر المفتريات التي وقعوا فيها حين نسوا تعاليم الله ودعوة المسيح (ص) . أنهم ادعوا ألوهية المسيح ، واستبدلوا التثليث بالتوحيد . وقد ذكر الكتاب العزيز هذه الفرية مع الرد عليها ودحضها في آيات كثيرة . يقول تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً» . (٢)

والقرآن الكريم ملىء بالآيات التي تنعى على النصارى هذه الفرية الكبرى. بل إن القرآن الكريم ليخبر بأن الله تبارك وتعالى سوف يسأل المسيح يوم القيامة عن هذه الفرية . وأن المسيح سوف يعلن براءته منها (٢)

والكتاب العزيز لم يحص إنحرافات النصارى بعد المسيح تفصيلا . وإنما عنى عناية كبيرة بهذه الفرية الكبرى ، وغيرها بجانبها يهون شأنه . فالقرآن لم يحص التحريفات والتغييرات التي استحدثها النصارى في رسالة المسيح وإنما ذكر بعضها وترك البعض الآخر . وهذا ما يشير القرآن إليه بقوله تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ».

---

(١) سورة المائدة . بعض آية : ١٤ (٢) المائدة . بعض آية : ١٧

( ) إقرأ الآيات : ١١٦ — ١١٨ من سورة المائدة .

٥ — رسول إلى بني إسرائيل خاصة

ينص القرآن الكريم على أن عيسى ابن مريم عليهما السلام كان رسولا إلى بني إسرائيل خاصة . ولم يكن رسولا إلى الناس عامة . فعيسى عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل . وهو كسائر أنبيائهم الكثيرين الذين أرسلهم الله إليهم ليقيموهم على الطريقة . وكل خاصية عيسى عن السابقين عليه من أنبياء بني إسرائيل . أن الله اختصه بأمرين :

الأول : الإعجاز في خلقه . حيث خلقه الله من غير أب .

الثاني : أن الله أنزل عليه كتاباً هو الإنجيل .

وهذان الأمران لا يخرجانه من زمرة أنبياء بني إسرائيل . فلقد بعثه عيسى عليه السلام في قوم ينكرون الروح وقدرة الخالق . ويرجعون كل شيء إلى أسبابه المباشرة من الطبيعة والمادة . فكان خلق عيسى عليه السلام من غير أب ضرورة اقتضها ظروفهم لكي تأخذ بأيديهم من المادة إلى الروح . ومن الطبيعة إلى خالق الطبيعة . ومن الأسباب إلى مسبب الأسباب . وكذلك أعطاه الله الإنجيل مواعظ وزواجر ، وهدى ونوراً ، ورحمة بهم . وتخفيفاً عنهم . وكان من نصيب عيسى عليه السلام ، لأن قساوة قلوب اليهود آنئذ وضلالهم ، وزيغهم عن الحق ، وانحرافهم عن شريعة موسى عليه السلام . كانت قد بلغت الحد ، فكان الكتاب ضرورة لإظهار الدليل لهم ، وإقامة الحجة عليهم ، وتفخيم شأن عيسى في أنظارهم - مع تحقيق مراد الله وحكمته في نسخ بعض أحكام التوراة الموسوية كتحليل بعض ما حرم عليهم .

وهذان الأمران اللذان اختص بهما عيسى عليه السلام . ليس من شأنهما أن يخرجا عيسى من زمرة أنبياء بني إسرائيل . فهو نبي من أنبيائهم ورسول إليهم خاصة . وليس إلى الناس عامة .

يقول تبارك وتعالى في شأن عيسى عليه السلام :

« ويعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بني إسرائيل » (١) .

ويقول تعالى :

« وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم » . (٢)

ويقول تعالى مخاطباً عيسى معدداً نعمه عليه :

« وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات » . (٣)

ويقول تعالى عن عيسى :

« إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل » . (٤)

ويقول تعالى :

« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم » (٥)

ولقد اعترفت الأناجيل النصرانية بهذه الخصوصية . وبأن عيسى ليس إلا رسولا لليهود فقط .

فقد جاء في إنجيل متى ما يلي :

---

(١) آل عمران ـ الآيات : ٤٨ ـ ٤٩ . (٢) المائدة ـ بعض آية : ٧٢
(٣) المائدة ـ بعض آية : ١١٠ (٤) الزخرف ـ آية : ٥٩ .
(٥) الصف ـ بعض آية : ٦ .

« ثم خرج يسوع إلى نواحى صور وصيدا . وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم . صرخت إليه قائلة ». ارحمنى يا سيد يا ابن داود . ابنتى مجنونة جداً فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا .

فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١) .

وفى نفس الإنجيل أيضاً :

« هؤلاء الاثنا عشر . أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا . وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (٢) .

وفى نفس الإنجيل أيضاً يقول المسيح لتلاميذه :

« متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده . تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » (٣) .

وفى سفر أعمال الرسل فقرات كثيرة تدل على أن الحواريين من بعد عيسى عليه السلام كانوا يتمسكون بالمسيحية ديناً لبنى إسرائيل خاصة . وقد خاصم اليهود بطرس لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم فى سفر أعمال الرسل :

« ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين : إنك دخلت على رجال ذوى غلفة وأكلت معهم » (٤) .

وقال بطرس لغير اليهود :

---

(١) ١٥ : ٢١ - ٢٤ (٣) ١٩ : ٢٨ .
(٢) ١٠ : ٥ - ٦ . (٤) ١١ : ٢ - ٣ .

« أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتى إليه » (١).

وفى إنجيل برنابا يقول عيسى :

« وقد أقامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء » (٢).

ويؤيد الكتاب والباحثون النصارى هذا الاتجاه .

« فلقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حوارى المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية دينا لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل . ويقول دين إنج : إن عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود . ولم يحاول أن ينشىء فروعاً خاصة به من بين هؤلاء المعاصرين أو ينشىء له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود وتعاليمهم »(٢) .

وهذا شأن المسيح ورسالته . نبى إلى بنى إسرائيل خاصة . ورسالته إليهم دون غيرهم . ولكن المسيحية نالها من بعده التشويه والتحريف . ومن جملة هذا التحريف نقلها من رسالة الى بنى اسرائيل ، الى رسالة الى الناس أجمعين .

* * *

٦ — عيسى بشير بين يدى محمد ﷺ

جاء عيسى عليه السلام نبياً ورسولا بين يدى خاتم الأنبياء والمرسلين ليبشر بمجيئه ، ويمهد الطريق أمامه . فهو ارهاص له ، وبشير به .

---

(١) أعمال ١٠ : ٢٨ . (٢) ٥٢ : ١٢

(٢) نقلا عن كتاب المسيحية — أحمد شلبى ص ٤١ — ٤٢ .

يجب أن يؤمن به من يحضر بعثته منهم ، ورفع عيسى صوته بهذه البشرى ، ولكن بنى اسرائيل ضلوا وزاغوا فأزاغ الله قلوبهم ، يقول تعالى :

« واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم ، مصدقاً لما بين يدى من التوراة ، ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين »(١) .

وقد وردت هذه البشارة واضحة وصريحة فى مواضع متعددة من انجيل (برنابا) (٢) .

وفى انجيل لوقا يقول : انه فى الليلة التى ولد فيها المسيح : .

« ظهر جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » (٣) .

هذه هى العبارة التى وردت فى انجيل لوقا .

ولكن الباحث المحقق السيد (عبد الأحد داود) الذى كان من رجال الدين النصرانى المتخصصين فى اللاهوت وعلم اللغات ثم أسلم ، هذا الباحث يمسك بهذه العبارة التى أنشدها ملائكة السماء ويفسرها ويذهب الى أنها بشارة بمجىء محمد عليه السلام بالإسلام ، ويقول هذا الباحث الذى فتح عينيه وقلبه وهداه للإسلام هى هذه الآية من انجيل لوقا .

---

(١) سورة الصف . آية : ٦ .

(٢) انظر إصحاح ١٩ : ١٤ ، وإصحاح ١١٢ : ١٧ .

( ) ٢ : ١٤ .

وقد قدم هذا الباحث بحثاً لغوياً قيماً ، أثبت فيه بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الآية من انجيل لوقا إنما هى بشارة بمجىء محمد ﷺ بالإسلام .

ويقول السيد عبد الأحد ان هؤلاء الملائكة لم ينشدوا هذا النشيد باللغة العربية أو اليونانية والا لما فهمها الرعاة الذين سمعوا النشيد ، لأن الرعاة لم يكونوا يفهمون الا السريانية التى هى لغتهم ، واذا كان هؤلاء الأملاك نطقوا هذه الكلمات بالسريانية ، فما هى كلمات الأنشودة بهذه اللغة ؟ وما هى ترجمتها الحقيقة ؟ . وبخاصة الكلمتان : (السلام ، والمسرة) .

وهنا يؤكد الباحث أن أصل هاتين الكلمتين باللغة السريانية التى تكلم بها الملائكة هو : (إيرينى) و (إيودوكيا) . ويؤكد الباحث أن ترجمة هاتين الكلمتين فى الأناجيل خطأ ، ودليل ذلك أن الترجمة قد اختلفت فى الألفاظ والمعانى تبعاً لاختلاف طبعات الأناجيل ودور النشر التى تتولى أمر هذه الطبعات ، وعلى سبيل المثال : الطبعة المتداولة بين أيدينا نجد أن لفظة (إيرينى) ترجمت بـ (السلام) ولفظة (إيودوكيا) ترجمت بـ (المسرة) ولكن الطبعة التى صدرت عن دار النشر المسماة (بى بل سوسايتى ترجمت فيها هاتين اللفظتين هكذا : (إيرينى = سلامة) و (إيودوكيا = حسن الرضا) ، ويستدل الباحث بذلك على خطأ الترجمتين معاً . بل وعلى سوء النية وتعمد الخطأ فى ذلك . حتى تضيع الحقيقة المردة من هذه الكلمات

ولكنه قبل أن يورد الترجمة الصحيحة لهاتين اللفظتين . يورد نقضين على الترجمة المتداولة لها . فهو يتساءل : ما معنى أن يكون على الأرض السلام أو سلامة ؟ وأى سلام شهدته الأرض والجنس البشرى وانما الكائنات كلها فى حرب مستمرة دائمة ودائبة مع بعضها البعض . بل إن

المخلوقات على ظهر هذا الكوكب خاضعة للفجائع والمصائب والنكبات، وهى منغمسة على الدوام فى الحروب والمنازعات، ثم أى سلام شهدته الأرض منذ ظهر المسيح؟ والمنازعات منذ ظهوره زادت، والاضطهادات تفاقمت، وتاريخ البشر لم يشاهد من الفظائع مثل ما وقع على أتباع المسيح فى أثناء الاضطهادات التى وقعت بهم على يد نيرون وغيره، بل ان الفظائع زادت وتضاعفت على يد الكنيسة نفسها ضد أصحاب الديانات الأخرى وضد النصارى أنفسهم ممن يخالفون تعاليمها، وما عهد محاكم التفتيش ببعيد «بل ان كان فى الدنيا شىء قد اكتسب أكبر شهرة فى اقتراف المظالم وايقاد نيران العداوة فلا شك أنها الكنيسة» (١).

ثم كيف يكون السلام على الأرض بمجىء المسيح، والمسيح نفسه ينفى هذا فيقول: «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً، بل سيفاً» (٢).

ويقول أيضاً:

«جئت لألقى ناراً على الأرض، أتظنون انى جئت لأعطى سلاماً على الأرض؟ كلا أقول لكم، بل انقساماً» (٣).

واذن فمن المحال بأن يقصد الملائكة أن الأرض عليها السلام، بمعنى المصالحة والمسالمة، فإن ذلك منقوص ومرفوض بنص كلام المسيح نفسه، من واقع حياة البشر وسيرة الكنيسة.

ثم يتساءل الباحث كذلك: ما معنى أن يكون بالناس المسرة أو حسن الرضا؟ والناس مطبوعون على الطموح. والأطماع لا تحد، والجشع فى الناس يزيد وينتشر لا ينقص أو ينحسر.

---

(١) الانجيل والصليب — عبد الاحد داود — ص ٤١
(٢) متى ١٠: ٣٤ (٣) لوقا

وبعد ذلك يقدم الباحث الترجمة الصحيحة للكلمتين (إيرينى ، إيودوكيا)

وبعد أن يقدم لذلك ببحث طويل وقيم يقرر أن كلمة (إيرينى) معناها (الإسلام) . وليس السلام أو سلامة كما تزعم الأناجيل المحرفة . وأما كلمة (إيودوكيا) فمعناها أفعل التفضيل من الحمد ، أى (أكثر الحمد) أو : (أحمد) وهو العلم الذى أطلقه الكتاب العزيز على رسول الله ﷺ فى آية البشارة فى الإنجيل حيث يقول تعالى : ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه (أحمد) .

والترجمة الكاملة لنشيد الملائكة الذى أورده لوقا فى رأى الباحث هى :

(الحمد لله فى الأعالى ـ اقترب أن يجىء إلى الأرض الإسلام ـ يبشره بين الناس أحمد)(١) .

• • •

٧ ـ لا واسطة بين الله والناس :

أقام المسيح دعوته على أساس أنه لا واسطة بين الله والناس . ولا حاجز بين الخالق والمخلوق ، ولا سفير بين العابد والمعبود . وإنما صلة الله بالناس مباشرة وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ، و (ملكوت الله) مفتوح أمام جميع الصالحين هذه كانت دعوة عيسى عليه السلام . فلما لحق عيسى بربه دخل التحريف والتبديل على دعوته ، ونشأت فرقة من المرتزقة بالدين . ادعوا لأنفسهم سلطاناً ما أنزل الله به من سلطان ، وادعوا أنهم واسطة بين الله والناس . وأنهم يغفرون الخطايا ، ويبرئون الأمراض . ويتصرفون فى ملكوت الله . وهؤلاء هم رجال الدين فى النصرانية . وهم يزعمون أنهم خلفاء

---

(١) أنظر ذلك البحث القيم فى كتاب الإنجيل والصليب . ص ٢٣ - ٦١ طبعة ١٣٥١ .

المسيح الذى هو إله فى نظرهم، وأن المسيح أعطاهم سلطانه على الأرض، وتركه لهم قبل أن يغادرها إلى السماء . فمن سلطتهم إحياء الموتى . وإبراء الأكمه والأبرص . وإخراج الأرواح النجسة من الأجساد، وشفاء المرض بأنواعه . تماماً كما كان المسيح يفعل . أليسوا هم خلفاءه على الأرض؟ إذن فهم خلفاؤه كذلك فى إتيان المعجزات .

وليست هذه دعوى ندعيها عليهم ونفتريها ضدهم . ولكنها عقيدتهم فعلا، وهذا رجل من رجال النصرانية يعبر عن هذه العقيدة . فيقول فى مجال الفخر بعيسى ومعجزاته ما يلى :

« ومن مزيته التى لا يفاضله فيها نبى ولا رسول أنه أفضى بالقدرة على إتيان المعجزات إلى تلاميذه . ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الأموات، وصعوده إلى السماء . وأورث كنيسته تلك القدرة أيضاً (١) » .

فهم أقاموا من عيسى إلهاً ، ثم وضعوا أنفسهم مكان هذا الإله ، فضلوا وأضلوا وملأوا الأرض فساداً ، وزيفوا عقول الناس وقلوبهم .

وهذا كتاب الله يوضح أن عيسى عليه السلام لم يأت برهبانية ولا كهانة وإنما هذه أمور ابتدعها من بعده تجار الدين والمرتزقة باسمه .

يقول تعالى :

« ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها (٢) » .

---

(١) المشرع ص ٨٦ (٢) سورة الحديد بعض آية : ٢٧

ويوضح تبارك وتعالى أن الأحبار والرهبان قد أقاموا من أنفسهم أرباباً لأتباعهم، فأضلوهم عن الحق وأبعدوهم عن الصراط السوى .

يقول تبارك وتعالى محدثاً عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون »(١).

ولقد أمضى المسيح حياته منذ بعث وهو يحارب الكهان والكهانة فى الهيكل وخارجه، ويندد بالكهان وينعى عليهم. ولكن رجال الدين النصارى قد أقاموا لهم من بعده دولة وسلطاناً . وحولوا الدين المسيحى الذى كان طابعه الأساسى الزهد والحب والتقشف والتعفف إلى تجارة رابحة تدر عليهم أخلاف المال الحرام باسم الدين، والدين من كل ذلك براء .

والمتصفح للتاريخ يرى ألوان الفظائع التى ارتكبها رجال الدين النصرانية ورؤساء الكنيسة باسم الدين وفى سبيل الاستيلاء على السلطة الدنيوية وعلى متع الحياة . فمن محاكم التفتيش ، إلى صكوك الغفران ، إلى قرارات الحرمان التى لا تزال سارية حتى الآن . وينتهى الأمر بالمسيحية التى قال رسولها يوماً لأحد أتباعه : « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعالى اتبعنى »(٢) .

والمسيحية التى يقول رسولها أيضاً عن الاغنياء :

« إنه يعسر أن يدخل غنى ملكوت السموات . وإن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات » (-) .

---

(١) سورة التوبة بعض آية : ٢١ (٢) متى ١٩ : ٢١

(٣) ١٩ : ٢٣ - ٢٤

ينتهى الامر بهذه المسيحية إلى أن يصبح رجال الدين فيها من أغنى الناس ويصبح (البابا) أغنى أغنياء الدنيا، وتصبح ثروة الكنيسة تنوء مفاتيحها بالعصبة أولى القوة. وهى كلها من صكوك الغفران، والنذور التى جمعت من الارامل واليتامى فقراء الناس ومعوزيهم.

* * *

٨ — الحواريون.

هم أنصار المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وأصفياؤه، والمخلصون له الحب، ولرسالته الدعوة. وهم أشبه بما نسميهم فى عصرنا هذا بالدعاة أو المبشرين.

وقد صور القرآن الكريم موقفهم من عيسى عليه السلام صورة ناصعة البياض تدعو الى الإعجاب والإكبار. وهى صورة النصير وقت الحاجة، والملبى وقت الشده. فعندما تألب اليهود على عيسى وكفروا بدعوته، ولم يجد له نصيراً، وضاقت به فجاج بنى اسرائيل. جأر عيسى بالنداء والاستنجاد على أحد أن يلبى دعوته، فكان الحواريون هم الملبين المستجيبين المضحين بالنفس والمال فى سبيل الدعوة ورسولها.

يقول تعالى:

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين» (١).

---

(١) آل عمران. الآيات: ٥٢ — ٥٣

ويرفع الكتاب العزيز الحواريين إلى منزلة دونها كل منزلة ، حين يجعلهم المثل للمؤمنين ، ويطلب من المؤمنين أن يتشبهوا بهم . ويتخذوهم المثل والقدوة فى الانتصار لله ولرسوله ولدينه .

يقول تعالى :

« ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله » .

* * *

٩ — وما قتلوه وما صلبوه :

ينص الكتاب العزيز على أن المسيح عليه السلام لم يقتله اليهود ، ولم يصلبوه وإنما اختار الله له نهاية بعيدة كل البعد عن مفترياتهم ، وأضاليلهم وادعاءاتهم . فاليهود يزعمون أنهم قتلوا المسيح صلباً ، والنصارى يؤمنون بذلك ويعتقدونه ، ويقيمون على أساسه عقيدتهم فى الصلب والفداء ويمكن القول بأن عقيدة النصارى فى صلب المسيح هى أساس دياناتهم برمتها . وهى أساس انحرافهم فى تأليه عيسى وما ترتب عليه من شرك وتثليث .

وقد نفى الكتاب العزيز هذه الفرية نفياً قاطعاً .

يقول تعالى فى معرض الكلام عن مخازى اليهود وضلالاتهم :

« وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه . وكان الله عزيزاً حكيماً » .

* * *

الفصل الرابع

النصرانية

الدين الباطل .. كما تصوره الأناجيل المحرفة

تتناول فى هذا الفصل — بمشيئة الله وعونه - أهم العقائد التى يؤمن بها النصارى . ونقول أهم العقائد ، لأننا لن نستطيع - فى هذا الموجز - أن نلم بكل العقائد النصرانية على اختلافها . ذلك أن النصارى ينقسمون شيعاً وأحزاباً كثيرة . وكل من هذه الشيع له عقائد يؤمن بها ويختلف فيها مع الشيع الأخرى . وجمع هذه العقائد لكل هذه الشيع شيء فوق طاقة هذا البحث . ولذلك سنحاول فى هذا البحث أن نلم بالأصول التى تلتقى عندها كل هذه الفرق أو جلها . والله الموفق والمعين .

* * *

أولا - التثليث والتوحيد .

يعتقد النصارى أن الله ثلاثة :

(ا) الله الأب (ب) الله الابن . (جـ) الله الروح القدس .

ويقول النصارى إن هذه الثلاثة عبارة عن إله واحد . وهذه الثلاثة ليست أجزاء لهذا الإله يتركب منها . لأن كل واحد من هذه الثلاثة عبارة عن إله متصف بكل صفات الألوهية من قدم ، وإرادة ، وقدرة ، وكمال ، وعلم .. الخ فكل منها إله على حده ومع ذلك فالثلاثة إله واحد له ذات واحدة بسيطة غير مركبة .

أما كيف يتحقق ذلك ؟ وكيف يعقل ؟.

كيف يكون ثلاثه آلهة ، كل منها قائم بذاته . ومتصف بصفات الألوهية

اتصافاً كاملاً . ومع ذلك فالثلاثة يتكون منها إله واحد وهذا الإله الواحد المركب من ثلاثة ، ذاته بسيطة غير مركبة ؟

كيف يكون الثلاثة واحداً ، والواحد ثلاثة ؟

كيف نقنع العقل بذلك ؟ هذا ما نحاول الإجابة عليه فى هذه الفقرة .

وأحب هنا أن أقرر — قبل الدخول فى تفاصيل الموضوع — أننى حاولت جهدى — وبدافع المعرفة قبل كل شيء — أن أفهم هذا الموضوع أو أصل إلى جواب شافٍ على التساؤلات الكثيرة المتعلقة به ، والمترتبة عليه ، ولكنى كلما بحثت وقرأت للنصارى أو ناقشت علماءهم فى ذلك ازدادت المسألة تعقيداً وانغلاقاً وازدادت النقوضات ضدها وهى نقوض لا تعمل فيها ولا صنعة ، لأنها من بداءة العقل وأولياته .

ولقد لاحظت أن علماء النصارى يسلكون فى الرد على تلك النقوض سبيلين أو هى سبيل واحدة ذات مرحلتين :

الأولى : أنهم يحاولون شرح هذه العقيدة بأسلوب إنشائى ، يعتمد على الالتواءات ، والتشبيهات ، وضرب الأمثال ، والعبارات الإنشائية التى لا مفهوم لها .

فاذا ما أحسوا أن هذه الوسيلة غير مجدية وغير مقنعة لجأوا إلى الوسيلة الاخرى .

الثانية : أنهم يلجأون إلى التفويض والتسليم فيقولون إن هذه مسائل للاعتقاد والإيمان فقط ، وليست خاضعة للفهم ولا داخلة فى مجال العقل لان العقل قاصر عن فهمها فالناس مطالبون بالإيمان بها دون البحث عن كنهها وحقيقتها .

وقبل أن نُدلي برأينا تعليقاً على هذه العقيدة ، سنقتطف أقوال بعض علماء المسيحية التي يفسرون بها هذه العقيدة ويحاولون توضيحها .

١ — يقول الدكتور (يوسف بوست) شارحاً هذه العقيدة :

« طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية . الله الاب ، الله الإبن ، الله الروح القدس. فإلى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن؛ وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير. غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جمع الأعمال الإلهية على السواء » (١) .

٢ — ويقول القس (بولس سباط) شارحا هذه العقيدة :

« يرى النصارى أن البارى تعالى جوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، وله ثلاث خواص ذاتية ، كشف المسيح عنها القناع . وهى الأب والابن وروح القدس . ويشيرون بالجوهر الذى يسمونه البارى ذا العقل المجرد إلى الأب . وبالجوهر نفسه الذى يسمونه ذا العقل العاقل ذاته إلى الابن ، وبالجوهر عينه الذى يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس. ويريدون بالجوهر ما قام بنفسه مستغنياً عن الظرف » (٢)

٣ — وعندما نسأل : لماذا ظل الإله لا يعلن للناس على لسان أنبيائه إلا التوحيد ، ولم يظهر التثليث إلا بظهور عيسى عليه السلام ؟ هنا يتقدم القس (بوطر) ليجيبَ على هذا السؤال فيقول :

« بعد أن خلق الله العالم وتوج خليقته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته . كما يتبين ذلك من التوراة ، على أنه لا يزال المدقق يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لانك إذا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ـ ص ١٦ (٢) المشرع ص ١٣ — ١٤

قرأت فيها بإمعان تجد فيها هذه العبارات (كلمة الله - حكمة الله - روح القدس) ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعانى لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه إيضاحها على وجه التفصيل» (١)

٤ - ويقول زكى شنوده :

« وقد عرف المسيحيون من السيد المسيح أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم . هم الاب والابن والروح القدس وأن هذه الاقانيم الإلهية هى طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد بسيط منزه عن التأليف والتركيب.

وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى... وقد فهمنا من كلام السيد المسيح أن الاقانيم الثلاثة الذين فى الله ، وإن اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتا وصاروا واحداً ، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الاقنومية . فالاب ليس هو الابن ، والروح القدس ليس هو الاب ولا الابن »(٢)

٥ - ونختم هذه الفقرات بفقرة يحاول كاتبها أن يعلل التثليث . ويجعله ضرورة منطقية ، بل بديهة عقلية . ولذا فهو يسوق كلامه على هيئة مقدمات منطقية ثم يتبعها بالنتيجة وهى - وإن كانت خرافة تافهة - إلا أننا بحاجة إليها حتى نتعرف على بعض صور الخداع العقلى والتشويه الفكرى .

يقول الاب (بولس إلياس اليسوعى) :

« من الناس من يقول لم يا ترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم ؟ أو ليس فى تعدد الاقانيم انتقاص لقدر الله ؟ أو ليس من الافضل أن يقال الله أحد وحسب ؟

---

(١) رسالة الاصول والفروع ص ٤٢ - ٤٤

(٢) تاريخ الاقباط - زكى شنوده ج ١ - ص ٢٠٤

ولكننا إذا أطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث . وكنه الله محبة (يوحنا الأولى ٤:١٦) ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً . فالمحبة هى مصدر سعادة الله . ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر ، فيضان الماء وانتشار النور . فهى إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان . وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما ، فليكون الله سعيداً – ولا معنى لإله غير سعيد . وإلا انتفت عنه الألوهية – كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالى صورة ناطقة له،ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه . ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته . وبادل الابن الأب هذه المحبة ووجد فيه سعاته ومنتهى رغباته . وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس .

هو الحب إذن يجعل الله ثالوثاً وواحداً معاً. ولا يصح أن يكون هذا الكائن الذى حبس الله محبته عليه إلا الابن . ولو كان غير الابن ، ولو كان خليقة محدودة بشراً أو ملاكاً لكان الله بحاجة إلى من دونه كمالا ، وعد ذلك نقصا فى الله ، والله منزه عن النقص ..

ليس الله إذاً كائناً تائهاً فى الفضاء منعزلا فى السماء

ولكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته .

وهكذا يمكننا أن نقول : إن كنه الله يفرض التثليث(١) »

---

(١) الاب بولس إلياس اليسوعى - يسوع المسيح ص٧٦ - ٧٧ .

ونحن لا يسعنا تعقيباً على حديث الخرافة هذا إلا أن نعجب العجب كله، كيف يمكن لعقل يحترم ذاته، أن يقبل هذه الترهات التافهة؟

وكيف يمكن لرجل دين المفروض فيه رجاحة العقل، وغزارة العلم، أن يردد هذه الترهات، «الله واحد»، «الله أسرة»، «الله أحب الابن قبل وجوده فولده نتيجة ذلك الحب»، «ومع ذلك فالابن قرين الاب فى الزمان» ثم «نتيجه ذلك الحب بين الاب والابن إله ثالث هو الروح القدس» فالمسأله إذا ليست حباً إلهيا مجرداً، وإنما هو حب قارنه التزاوج ونتج عن التزاوج بين الوالد والولد وهما إلهان إله ثالث هو الروح القدس.

وبعد أن انتهينا من الفقرات يأتى دور التعليق عليها، وتعليقنا عليها يتناول ثلاثة أمور.

١ – كيف تم تحويل دعوة التوحيد فى النصرانية إلى التثليث؟

٢ – الينابيع التى اشتقت منها النصرانية عقيدة التثليث. وأثر الديانات الاخرى فيها.

٣ – بيان بطلان هذه العقيدة.

* * *

١ – كيف تم تحول دعوة التوحيد فى النصرانية إلى التثليث؟

لقد تم ذلك على مرحلتين:

الأولى منها كانت على يد شاءول الذى يدعوه النصارى باسم (بواس أو بولس الرسول).

ولا يسع من يترجم للنصرانية الحالية إلا أن يتكلم عن هذا الرجل. فهو فى الواقع مؤسس النصرانية الحالية وواضعها واليه تعزى فى أكبر

شرائعها وأصغرها على سواء . وإذا كنا ترجمنا للمسيح على أنه مؤسس المسيحية الحقة ، فإننا هنا لا نرى بدأ من أن نترجم لذلك الرجل (شاءول) لأنه فى الواقع مؤسس ومخترع النصرانية الحالية التى نتكلم عنها فى هذا الفصل.

وحين نستفسر عن هذا الرجل نجد سفراً كبيراً من بين الأسفار المقدسة عند النصارى يسمى (سفر أعمال الرسل) هذا السفر يكاد يكون وقفاً على بولس وحده يصف أعماله وحياته وسيرته وخطبه ورسائله .. الخ وإذا كان التلاميذ قد كتبوا عن حياة المسيح الأناجيل الأربعة . فإن (لوقا) أحد تلاميذ بولس قد كتب عنه أيضاً هذا السفر. وهو أشبه بالأناجيل التي كتبت عن حياة المسيح . ولوقا هذا هو نفسه صاحب الإنجيل المعروف باسمه .

ومن هذا السفر نعرف أن بولس هذا كان اسمه أولا (شاءول) وكان من ألد أعداء أتباع المسيح . وفى أثناء سفره إلى دمشق بدا له أن يكيد لهذا الدين الجديد ، ويحطم هذه الدعوة الوليدة ، وبدا له أن طريق النفاق والخداع أجدى له من العداء السافر . وبدا له أيضاً أن يرفع المسيح من مكانه ليضع هو نفسه فيه . وتاريخ الأديان ملىء بمثل هذا (البولس) وليس هو فى حقيقته إلا صورة سابقة لمثيلاتها فى الإسلام من : (مسيلمة الكذاب) وأمثاله .

عاد (شاءول) من رحلته إلى دمشق وقد وضع تمثيلية محكمة . خلاصتها أنه وهو فى طريقه لإيذاء أتباع المسيح واعطيادهم على طريق دمشق . أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض . ثم سمع صوتاً يقول له :

« شاءول . شاءول ، لماذا تضطهدنى؟ فقال من أنت يا سيد ؟فقال الرب أنا يسوع الذى تضطهده .. فقال وهو مرتعد ومتحير . يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ،

وللوقت جعل يكرز فى الجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله » (١) .

وابتدأ شاؤل خطته هذه بتغيير اسمه إلى (بولس) حتى يمهد لدينه الجديد بمحو ما علق بأذهان المسيحيين من ذكريات قديمة لاسمه القديم ، ثم أخذ يدعو إلى دينه الجديد فيضع العقائد . وأولها أن المسيح هو ابن الله ، وأن الله ثلاثة .

ولعل أحداً يسأل : هل حضر شاؤل هذا على المسيح وتعلم منه حتى يدعو باسمه ويكون المعلم الأول والأخير فى النصرانية ؟ والجواب : لا لم يحضر شاؤل على المسيح بل لم يره المسيح مرة واحدة فى حياته . إذاً كيف يدعو شاؤل إلى دين المسيح ؟ وأين تلقى أصول هذا الدين ؟ ومن هم أساتذته فى ذلك إذا لم يكن المسيح منهم ؟ .

ولكن شاؤل الذى تحول إلى المسيحية بمعجزة ، أصبح شغوفاً بتلك المعجزات فهو يضيف إلى تحوله إلى المسيحية معجزة أخرى ، وهى تعلمه المسيحية بالإلهام والوحى وليس من إنسان آخر ، فهو يبدأ رسالته إلى أهل غلاطية بقوله :

« بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح »(٢).

ثم يقول بعد ذلك مخاطباً الناس فى نفس الرسالة :

« وأعرفكم أيها الإخوة ، الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان . ولا تعلمته . بل بإعلان يسوع المسيح » (٣) .

فبولس إذا تلقى تعاليمه من الله مباشرة ومن المسيح نفسه دون تعليم من أحد .

---

(١) أعمال الرسل ـ ٩ : ٣ ـ ٧ ، ٢٠ (٢) ١ : ١ (٣) ١١ : ١ ـ ٢/

وإذن فمن يستطيع أن يعارضه أو يحاجه وهذه منزلته ؟ .

وبولس هذا – كما ذكرنا – هو مخترع النصرانية الحالية . وواضع عقائدها . ومن أهم هذه العقائد التي وضعها بولس :

١ – تأليه المسيح والروح القدس والقول بالتثليث .

٢ – صلب المسيح تكفيراً عن خطيئة آدم . وفداء للبشر .

٣ – قيامة عيسى من الأموات . وصعوده إلى السماء ، وجلوسه عن يمين الله .

٤ – أن عيسى هو الذي يحاسب البشر يوم القيامة وليس الله .

٥ – أن المسيحية دين للناس جميعاً . وليس قصراً على بني إسرائيل فقط

وهذه العقائد هي الأسس التي تقوم عليها مسيحية الكنائس اليوم . وبذلك يتضح ما قلناه من أن النصرانية الحالية هي نصرانية بولس . وليست مسيحية المسيح ﷺ وهذه حقيقة يقررها النصارى أنفسهم ويعترفون بها

يقول المفكر النصراني (برى) :

وكان عيسى يهودياً . وقد ظل كذلك أبداً ولكن (شاؤل) كون المسيحية على حساب عيسى . فشاؤل هو في الحقيقة مؤسس المسيحية . وقد أدخل بولس على دياناته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود ، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان » (١) .

ويقول هـ . ج . ويلز

« كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا الكنيسة الحديثة . وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس ، وكان اسم بولس في الأصل شاؤل . وكان

---

(١) نقلا عن كتاب المسيحية . أحمد شلبي ص ٧٦ .

فى بادىء الأمر من أنشط وأبرز المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ثم اعتنق المسيحية فجأة، وغير اسمه فجعله بولس . وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية. فتراه على علم عظيم باليهودية والمتراسية ، وديانة ذلك الزمان التى تعتنقها الإسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم .

ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها ، وهى فكرة (ملكوت السموات) ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود المنتظر فقط ، بل إنه ابن الله . نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ، ويصلب تكفيراً عن خطايا البشر » (١) .

يتضح من هذا أن بولس هو أول من غير وبدل ، واخترع فكرة أن المسيح ابن الله وأنه نزل فداء وتكفيراً .

ولكن ما هو موقف تلاميذ المسيح الحقيقيين من هذه الفرية ؟ .

إن تلاميذ المسيح أعلنوها على شاؤل حرباً شعواء . ووقفوا ضده .

وهذا ما تنطق به كتابات الرجل نفسه ، فى رسائله الكثيرة يشير إلى وقوف تلاميذ المسيح ضده ، وعدائهم له .

يقول فى رسالته الثانية تيموثاوس :

« أنت تعلم هذا ، أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى »(٢) .

ولكن لماذا آسيا بالذات ؟

---

(١) نقلاً عن كتاب المسيحية أحمد شلبى . ص ١٤٠ .

(٢) ٢ تيموثاوس ١ : ١٥ .

لأن آسيا مهد الرسالات السماوية وفيها يرتفع بين الحين والحين أصوات رسل الله تنادى بالتوحيد . أما البلاد الأخرى كاليونان وروما فهى بلاد وثنية ولذلك وجدت فرية بولس فيها أرضاً خصبة .

ويكتب بولس إلى أحد تلاميذه يشرح له الوضع الذى كان عليه حين افترى هذه الفرية . فيقول له :

« بادر أن تجىء إلى سريعاً . لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى ، وكريسكيس إلى غلاطية . وتيطس إلى دلماطية ، لوقا وحده معى ، اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة لأنه قاوم أقوالنا جداً .. فى احتجاجى الأول لم يحضر معى أحد ، بل الجميع تركونى » (١).

وفى اعتقادى أن كلمات هذه الرسالة لا تحتاج إلى تعليق . فالجميع تركوا بولس لأنه افترى على الله . والذين تركوه هم تلاميذ المسيح وحواريوه الذين سمعوا منه .

وهو يذكر أن الذين كانوا معه هم الآخرون قد تركوه وانضموا إلى الموحدين ، وعندما وقف يجادل الموحدين انهزم وتركه الجميع فى احتجاجه الأول ، كما قال .

وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن فهو الذى استبدل الأحد بالسبت ، وهو الذى أمر بعدم الختان ، وهو الذى سن للكنيسة تقاليدها من التراتيل والترانيم والأناشيد والأغانى الروحيه والمزامير .

---

(١) ٢ تيموثاوس ٤ : ٩ - ١٦

فهو يقول :

« ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة ، بل امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضاً ، بمزامير وتسابيح وأغان روحية مترنمين ومرتلين»(١)

ويقول فى إبطال شريعة الختان :

« وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس ، دعى أحد وهو مختون فلا يصير أغلف ، دعى أحد وهو فى الغرلة فلا يختتن ، ليس الختان شيئاً ، وليست الغرلة شيئاً ، بل حفظ وصايا الله » (٢)

وكان بولس هذا يضع نفسه فى مقام الرب المشرع . فيضع النص فى رسائله ينص فى جزء منه على أنه تشريع من عند الرب ، وفى بعضه الآخر أنه من عنده هو . وفى ثالث أن رأيه يقوم مقام تشريع الرب .

يقول فى إحدى رسائله :

«أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ألا تفارق المرأة رجلها ، وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب ... وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأياً ». (٣)

من هذا العرض الموجز نرى أن بولس أحدث فى المسيحية أحداثا خطيرة حتى لم يبق من مسيحية المسيح قليل ولا كثير .

---

(١) إفسس ٥ : ١٨ - ١٩

(٢) اكورنثوس ٧ : ١٧ - ١٩

(٣) اكورنثوس ٧ : ١٠ - ١٢ ، ٢٥

وكان تحول بولس إلى النصرانية عام ٨ م تقريباً . ويقال إنه قتل فى اضطهادات نيرون للمسيحيين عام ٦٦ أو ٦٧ م تقريباً . أى أنه ظل ينشر مفترياته طوال ٢٨ أو ٢٩ عاماً . وهى المرحلة الأولى فى نشر المفتريات فى المسيحية .

أما المرحلة الثانية : فانتشرت فيها فرية بولس بقوة السيف وجبروت السلطان . وذلك فى المجمع الأول من المجامع المسكونية النصرانية المنعقد عام ٣٢٥ م ويسمى (مجمع نيقيه) .

وقد انعقد هذا المجمع لكى يفصل فى المسائل المختلف عليها بين أتباع المسيح وأهمها ما يتعلق بشخص المسيح . هل هو رسول من الله فقط ؟ أوله صلة خاصة بالله تزيد على صلة السفارة بين الله وخلقه ؟ أو هو ابن الله لأنه ولد بغير أب ؟ . وإذا كان ابن الله فما هى نسبته إلى أبيه ؟ هل هو مثله فى القدم ؟ أو متأخر عنه فى الزمان ؟ .

وهذه الخلافات والنحل وضع بذرتها بولس ثم هلك . ولكنها لم تذهب بذهابه . لأنه وضع فى دينه الذى ألفه واخترعه بذوراً من شتى الأديان . من اليهودية ، من المتراسية ، من الإغريقية .. الخ . ولذلك ضمنت أفكاره البقاء والانتشار ، وتعصب لها أصحاب الديانات التى أخذت عنها .

ولقد ظلت هذه الخلافات كامنة طوال فترة الاضطهادات التى أنزلها بالمسيحيين حكام روما . حتى جاء عهد (قسطنين) فأمنهم على أنفسهم ، واعتزم الدخول فى المسيحية . وهنا ظهرت الخلافات على أشدها .

فأرسل قسطنطين يدعو جميع رجال الدين . فجمع البطاركة والأساقفة .

فاجتمع فى مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة . وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان . وبعد أن اجتمعوا سمع قسطنطين مقالة كل فريق ومجادلتهم ثم مال أخيراً مع الرأى القائل بألوهية المسيح والتثليث .

ولم يكن ميل قسطنطين إلى ذلك الرأى لرجاحته . ولا لكثرة عدد متبعيه فالمجمع كان به — كما يقول ابن البطريق — ٢٠٤٨ ألفان وثمانية وأربعون رجلا من رجال الدين . وبعد المناقشات التى دارت بين الموحدين وعلى رأسهم (أريوس) وبين المثلثين وعلى رأسهم بطريرك الاسكندرية .

اجتمع على التثليث من هذا العدد كله (ثمانية عشر وثلاثمائة) من كل المجتمعين . ومن هذا يتضح أن حزب التثليث كان أضعف وأقل جنداً . ولكن الامبراطور بعد المناقشات التى دارت مال إلى رأى المثلثين . فأمر بفض المجمع ، ثم جمع حوله الثلاثمائة والثمانية عشر رجلا مثلثا ، وأعطاهم سيفه وخاتمه وقضيبه وقال لهم قد سلطتكم على مملكتى لتصنعوا ما فيه نشر هذا الدين الذى قلتم به ، ثم عمل على اضطهاد كل من يعارض عقيدة هؤلاء الذين رضى عنهم .

وكانت هذه هى المرحلة الثانية التى انتشرت بها فرية التثليث وألوهية المسيح عليه السلام .

. . .

٢ — الينابيع التى استقت المسيحية منها عقيدة التثليث :

إن المتتبع لعقيدة التثليث فى الديانات القديمة يرى هذه العقيدة قد احتلت فى كل هذه الديانات مكان الصدارة ، ويجد أن جذور هذه العقيدة تمتد قبل ظهور المسيحية بمئات السنين .

فقد وجدت عقيدة التثليث هذه على سبيل المثال :

(ا) فى الديانة المصرية .

(ب) فى الديانة الهندية .

(حـ) فى الديانة البوذية .

(د) فى الفلسفة الأفلاطونية بمدرسة الاسكندرية .

وسنتكلم فيما يلى عن عقيدة التثليث فى كل من هذه المنابع :

(ا) التثليث فى الديانة المصرية :

التثليث فى الديانة المصرية عميق الجذور فيها ، ويظن أنه الأساس لكل أو لجل العقائد الشبيهة فى الأديان الأخرى ، إذ المصريون من أقدم البشر الذين عرفوا هذه العقيدة ، وعرفوا نظاماً دينياً متكاملا .

والدين المصرى القديم كان له تأثير قوى فى النصرانية . ليس فقط فى الشعائر بل فى صورها ورموزها . لدرجة أن الكثيرين يعتقدون أن صورة العذراء التى يصلى أمامها المسيحيون فى الكنيسة إنما هى مأخوذة عن صورة (إيزيس) المصرية التى كان يرسمها المصريون وهى تحمل طفلها (حورس) وترضعه ، يقول فى ذلك (ول ديورانت) .

« ولقد كان لهذه الأساطير والرموز الفلسفية الشعرية أعمق الأثر فى الطقوس النصرانية والدين المسيحى. حتى إن المسيحيين الأولين كانوا أحيانا يصلون أمام تمثال إيزيس الذى يصورها وهى ترضع طفلها حورس »(١).

(ا) قصة الحضارة : جـ ٢ — ص ١٦٠

وأما عن التثليث فى الديانه المصرية وتأثيره فى النصرانية فسنترك المجال لقلم أحد الكتاب النصارى ليصور ذلك . يقول الكاتب :

« وكان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث النصرانية قريبة إلى فهمهم »

فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة . تختص بعبادته والولاء له . من أمثلة ذلك ثالوث طيبة . ويتكون من آمون (الأب) . وموت (الأم) . وخنسو (الابن) . وثالوث أبيدوس أو العرابة المدفونة . ويتألف من أوزوريس (الأب) ، وإيزيس (الأم) ، وحوريس (الابن) . وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة . إلا أنهم يعملون معاً .

كما كان فى معتقداتهم ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك . فقد كانوا يعتقدون مثلا أن (حور محب) آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء . وأن آبيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاج فيها .

وكانوا يصورون فى يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة . وكانوا يسمونها (عنخ) وهى قريبة فى تكوينها من علامة الصليب التى اتخذها النصارى شعاراً ورمزاً لهم بعد ذلك .

كما كانوا يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس . وهو طقس يشبه العماد عند النصارى .

وأخيراً نجد فى قصة الإله أوزوريس ، واستشهاده ثم انتصاره فى النهاية على الشر . وجلوسه بعد ذلك فى السماء ليحاسب الناس كلا حسب أعمالهم ما يجعل

قصة حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده قريبة إلى عقول المصريين وقلوبهم »(١) .

وبعد فهذا إحصاء شامل لكل معتقدات النصرانية الهامة وما يقابلها عند المصريين الأقدمين . غير أن الباحث كانت تنقصه بعد ذلك كلمة حق يقولها . تلك هي التي تقرر أن السابق أصل اللاحق . وأن هذا التشابه العجيب في النظام العقدي كله بين المصريين والنصارى لا يأتي عفواً على الإطلاق . وإن سلمنا بعفويته في شعيرة . فلا يمكن أن نسلم بذلك في نظام كامل من بدايته إلى نهايته .

(ب) وأما في الديانة الهندية . فالهنود يعتقدون في الإله (كرشنا) ما يشبه اعتقاد النصارى شبهاً يكاد يكون تاماً .

فهم يعتقدون أن الإله (كرشنا) هو نفسه الإله (فشنو) . وأن الإله كرشنا هو المولود البكر . ويعتقدون بالخطيئة الأصلية التي يقول بها النصارى . ويعتقدون أن الإله البكر (كرشنا) خلص الإنسان من الخطيئة الأصلية بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

والهنود يصورون الإله كرشنا مثقوب اليدين والرجلين ، وهو مصلوب وعلى قميصه قلب الإنسان معلقاً . وعلى رأسه إكليل من الذهب . وهذه كلها صور شبيهة بعقيدة النصارى في المسيح .

(جـ) وأما عن البوذيين . فإن عقيدتهم في (بوذا) أكثر شبهاً بالمسيح فهم يعتقدون فيه ما يعتقد النصارى في المسيح . حتى إن البوذيين ليطلقون على بوذا لقب : المسيح ، المولود الوحيد ، مخلص العالم . ويقولون إنه إنسان كامل . وإله كامل تجسد بالناسوت . وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب

---

(١) تاريخ الأقباط . زكي شنوده — جـ ١ — ص ٢٦ — ٧٠ .

للبشر . ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبون عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات (١) .

(د) وأما عن الفلسفة الأفلاطونية فى مدرسة الاسكندرية : وهى التى تسمى بالأفلاطونية الحديثة . فهى ترجع العالم فى تكوينه وتدبيره إلى ثالوث مقدس : المنشىء الأول ، والعقل الذى تولد منه كما يتولد الولد من أبيه ، والروح الذى يتصل بكل حى ، ومنه الحياة . فإذا عبرنا عن المنشىء الأول بالآب . وعن العقل المتولد بالابن ، وعن الروح بروح القدس . كما هو ثالوث النصارى الذى أخذ ببعضه مجمع نيقيه . وبكله المجامع التى جاءت من بعده . لما خرجنا فى التسمية عن الصواب . وما كان فيها أى تسامح . فذلك الثالوث فى معناه هو ثالوث النصارى(٢) .

. . .

٣ – نقد هذه الفكرة ودحضها .

لقد كان جديراً بنا بعد أن قدمنا هذا العرض لهذه الفكرة . ثم بينا جذورها الأساسية فى الديانات الوثنية السابقة عليها . أن نكتفى بذلك . ففيه الكفاية فى بيان بطلانها .

ولكننا سوف نلمح إلماحات موجزة إلى بعض ما يدحض هذه الفكرة زيادة فى التوضيح وفضلا فى البيان .

(١) إن أول ما يوجه إلى هذه الفكرة ـ فكرة التثليث والتوحيد ـ

---

(١) عبد الوهاب النجار . قصص الأنبياء . ص ٤٣٣ .

(٢) محمد أبو زهرة . محاضرات فى النصرانية . ص ٣٥ .

أنها لا تستقيم مع عقل أو منطق . وأنها مهما حاولوا توضيحها وتقريبها ، فإنها تزداد غموضاً على غموض . ويكفي أن المعتقدين لها أنفسهم لا يستطيعون فهمها ، ولا تستطيع عقولهم هضمها . وقد سبق أن بينا في الفقرات التي نقلناها عن كتابهم عجزهم عن تعليلها ولجوءهم إلى التسليم والتفويض والإقرار بأنها غير قابلة للفهم .

(ب) أنها عقيدة وثنية ، وأن جذورها ضاربة في عدد من الأديان الوثنية . وقد بينا ذلك بالتفصيل .

(ج) أنها لم تنتشر إلا بقوة السلطان . وبمساعدة قسطنطين . ففي مجمع نيقية كانت الغلبة للموحدين وكانوا كثرة ولكن قسطنطين وقف بجانب المثلثين . لأنها تتفق مع ميوله . ومن العجيب أن تقوم النصرانية بمساعدة إمبراطور وثني لم يكن نصرانياً ولم يكن يعرف عن النصرانية شيئاً . ومع ذلك فهو الذي حكم وحسم الخلاف بين فريقي المسيحيين . وقرر أي الفريقين على صواب . وأيهما على خطأ ، فهل مثل هذا يعتبر حكمه فيصلا ؟ .

(د) أن الأناجيل التي يستمدون منها الأدلة على ألوهية المسيح ليست مسلمة الصدق . بل هي مردودة ومحرفة . وسيأتي الكلام على ذلك عند الكلام على مصادر النصرانية .

(ﻫ) أنه لو سلم بصدق هذه الأناجيل . فإنها معترفة صراحة أن الله واحد لا شريك له . والأناجيل تروى عن عيسى أنه هو القائل :

« للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » . (١)

---

(١) متى ٤ : ١٠ — ، لوقا ٤ : ٨ .

(و) أن هذه الأناجيل مشتملة كذلك على فقرات كثيرة تدل على نبوة المسيح وعلى أنه ابن الإنسان وليس إلها . وما ذكر فيها من أنه (ابن الله) فذلك محمول على المجاز فى التعبير على حد قول المصطفى ﷺ (الخلق عيال الله)

(ز) ونحن لا نفهم : إذا كان الإله ثلاثة . فكيف لم يبين ذلك للناس هذه الآماد الطويلة . وتركهم يعبدونه على الوحدانية ؟ . وبذلك يمكن أن يقال إن الإله ضلل الناس وكذب عليهم وشوه الحقيقة . — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً —

(ح) وإذا كان الله قد ضلل الناس ، فكيف يعقل أن الله كذب على كل أنبيائه السابقين على المسيح ؟ كيف يذكر لهم أنه واحد وهو ثلاثة ؟

وكيف يضل كل هؤلاء الأنبياء العظام من مثل إبراهيم ، وموسى وغيرهم ويرسلهم إلى الناس لا بالحقيقة . بل بالافتراء والكذب ؟ .

ومرة ثانية — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً —

ولا نحب أن نطيل فى نقدنا فنى ذلك الكفاية .

• • •

ثانياً : الصلب والفداء :

إن قضية صلب المسيح وفدائه بنى البشر من أهم العقائد النصرانية . بل لعلها أهمها .

وهذه القضية لم تكتسب أهميتها من أنها جريمة قتل وقعت على نبى من أنبياء الله . فإن كثيرين من الأنبياء قد رحلوا عن هذا العالم نتيجة لهذه الجريمة .

ولو أن المسيح عليه السلام صلب حقيقة لما كان ذلك شيئاً فوق الإمكان. لأن كثيرين من الأنبياء قد قتلوا بيد اليهود من أمثال يحي وزكريا وحزقيال وغيرهم.

ولكن هذه القضية اكتسبت أهميتها من حيث أنها جعلت أساساً يقوم عليها دين، وتبنى عليها عقيدة. فعقيدتهم فى صلب المسيح كانت أساساً وبداية لجعله إلهاً، وأساساً للتثليث، وأساساً لاتخاذ الصليب رمزاً مقدساً للنصرانية كلها كدين، ويكفى أن نعرف أن الصليب الذى يعتقدون أن المسيح قتل عليه أصبح رمزاً مقدساً عندهم. وهو رمز التثليث، وهو كذلك رمز للمذبح الذى ذبح عليه المعصوم، وهو كذلك رمز لأكبر فاجعة وقعت فى تاريخ البشرية. وهو كذلك أساس الكنيسة وعماد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية (١).

. . .

ولنبدأ أولا فى تصوير هذه العقيدة عند النصارى. حتى نستطيع أن نلم بها قبل أن نناقشها أو نناقشهم فيها.

أساس هذه العقيدة أن أب البشر آدم قد أخطأ فى حق الله، حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها. وخطيئة آدم هذه ورثها عنه جميع أبنائه من البشر حتى يوم القيامة. فكلهم مطالبون بها ومسئولون عنها. ولذلك فكلهم — بمقتضى هذه الخطيئة — يستحقون الخلود فى جهنم.

ولكن هذا العقاب وإن كان يتفق مع عدالة الله، إلا أنه لا يتمشى مع مقتضيات رحمته، ولذلك فقد حدث نتيجة لذلك تناقض بين ما تقتضيه عدالة الله. وما تقتضيه رحمته. فعدالة الله تقتضى عقاب الجنس البشرى

---

(١) الإنجيل والصليب عبد الأحد داود ص ٦.

كله . ورحمة الله تقتضى العفو عنه وكان لابد من حل لهذا المشكل . ولقد توصل الله إلى هذا الحل ، فبعث بابنه الوحيد ــ المسيح ــ إلى الأرض فاتحد بالناسوت . ثم قدم نفسه على الصليب فداء الجنس البشرى كله .

وبغير (ابن الله) هذا لم يكن ممكناً تكفير خطيئة البشر . لأن خطيئة آدم غير متناهية ، فهى محتاجة فى تكفيرها إلى شخص غير متناه . وليس فى الجنس البشرى كله ذلك الشخص . فلم يكن بد من أن يبعث الله بابنه الوحيد ـ الذى هو غير متناه . لأنه إله وابن إله ـ لفداء الجنس البشرى كله

ولنستمع إلى أحد كتاب المسيحية يصور لنا هذه القضية فيقول :

« حين خالف آدم وصية الله جلب على نفسه الموت وعلى سائر ذريته ، وطرد هو وذريته من الفردوس ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا أولا . إلا بعد مغفرة خطاياهم . ولم يكن ممكناً للإنسان أن يقدم كفارة عن خطاياه لعجزه ولتسلط هذه الخطايا على طبعه .

وقد كان الله قادراً أن يجرى على آدم أحد أمرين : فإما أن يهلكه عقاباً له على جريمته ، أو يسامحه تعطفاً على ضعف طبيعته . إلا أن عقابه يتضمن العدل ولكنه يهدر الرحمة ، كما أن تبريرة بلا كفارة يتضمن الرحمة ولكنه يهدر العدل. فى حين أنه لا يمكن إهدار إحدى هاتين الصفتين لأن فى ذلك نقصاً . والخالق منزة عن النقص . لذا دبرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبة بها يخلص الإنسان وينال العدل الإلهى حقه فى ذات الوقت . وتلك هى ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة إلهية . باشتراكها مع طبيعة الله نفسه . حتى يتسنى لها أن تكفر عن معاصيها ، وتفى ما عليها تجاه العدل الإلهى. ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله ، وتأله طبيعته البشرية . حتى يمكن أن تتم

المصالحة بين الله والناس . لأن العدل يقضى بأن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت . ومن ثم فلقد أخذ الله طبيعة الإنسان لكى يتحمل فيها القصاص الواجب ، واتحد بالجسد اتحاداً جوهرياً حصل به الجسد على كمال غير متناه يتيسر له بواسطته أن يقدم الكفارة عن خطيئته غير المتناهية . وبذلك فقد كانت هذه الوسيلة هى أسمى الوسائل وأحكمها . لأنها استوفت العدل والرحمة معاً ووفقت بينهما ، إذ أعطت كلا منهما حقه . فالعدل لم يزل عدلا عندما ظهرت الرحمة ، والرحمة لم تزل رحمة عندما تم العدل »(١) .

وهم يستدلون على ذلك بنصوص كثيرة من أناجيلهم ورسائل رسلهم مثل ما ورد فى إنجيل يوحنا :

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكيلا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية »(٢) .

هذه هى عقيدتهم فى الصلب والفداء . وهى أهم العقائد عندهم على الاطلاق . لأنهم يقولون إن صلب المسيح كشف لهم أموراً كان يجهلها الجنس البشرى كله من لدن آدم حتى جاء المسيح وصلب .

فألوهية عيسى لم تكن لتنكشف لهم إلا بواسطة الصلب . وألوهية عيسى هذه مسألة كان يجهلها الجنس البشرى كله حتى أكابر الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى الذى جاء عيسى نفسه تابعاً له . كل هؤلاء الانبياء العظام ما كانوا يعرفون أن لله ابنا هو إله . وأن الذى يحكم العالم ليس واحداً بل

---

(١) تاريخ الأقباط - زكى شنودة - ج ١ - ص - ٢٢٨ .
(٢) يوحنا ٣ : ١٦ .

أسرة مكونة من أب وابن وروح هي ثمرة الحب المتبادل بين الأب والابن. ولكن الصلب هو الذي كشف لهم كما كشف للجنس البشري كله هذه العظيمة من عظائم الاعتقاد .

ومن ثم فهم يقدسون الصليب ، ويقولون عنه إنه كاشف الأسرار اللاهوتية ويرسمون الصليب بأصابعهم الثلاثة الأمامية ممدودة على وجوههم وصدورهم . وإن امتنع واحد من النصارى عن رسم الصليب بهذه الهيئة أو امتنع عن قبول أو حمل الصليب المصنوع من المعدن أو الخشب ، فإنه ولا يعتبر مرتداً ، وكافراً ووثنياً . وترفضه وتحرمه جميع كنائس العالم - ما عدا البروتستانت - أما هؤلاء فإنهم وإن كانوا لا يحملون الصليب يرسمونه على وجوههم وصدورهم ، إلا أنهم يدينون له بالتقديس ، ويعترفون أنه بواسطته قد انكشف للعالم سر الثالوث المقدس وألوهية المسيح (١) .

. . .

ونحن مع اعتقادنا بأن هذه الأفكار المتهافتة ، وهذه الفلسفة الساذجة لا تحتاج منا إلى تعليق ، من حيث هي تحمل بين طياتها أدلة فسادها وبطلانها ؟ إلا أننا - مع ذلك - لا نرى بأساً في أن نلمح إلى بعض نواحي الفساد فيها بإيجاز فنقول :

١ - إن الفلسفة التي بنوا عليها عقيدتهم كلها تقوم على أساس الجمع بين عدل الله ورحمته . وبسبب هذا التوفيق بين العدل والرحمة ، كان هذا الهراء كله من أوله إلى آخره .

ولكننا نقول إن هذه المسرحية التي ألفوها لتحقيق العدل والرحمة ، لم تفلح لا في تحقيق العدل ولا الرحمة . فلم يتحقق واحد منهما ، بل انتفى

---

(١) الانجيل والصليب : ص ٨ .

كلاهما . وبدلا من أن يوصف الاله بالعدل والرحمة معاً ، وصم بالظلم والقسوة جميعاً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -

أما العدل فلم يتحقق ، لأن ألف باء العدالة تقتضى أن يتحمل الجانى مسؤولية جنايته . فلا ينزل العقاب بغيره ، بل ينزل به هو ، فإذا ما خرج الأمر عن ذلك كان ظلماً وليس عدلا ، فإذا ما تصورنا أن زيداً من الناس قد ارتكب جناية ثم نزل عقابها على عمرو ، فإن أقل العقول ذكاء تجزم بأن ذلك ليس من العدل فى شىء على الاطلاق .

وكذلك لم تتحقق الرحمة ، لأن الرحمة تقتضى العفو عن الجانى . بمعى أن يكون هناك جان يستحق العقاب . فنعفو عنه كلية أو نخفف من عقابه المستحق شيئاً ، ولكن القضية التى معنا - قضية الصلب - ترك فيها الجانى الحقيقى . ثم أخذ مكانه البرىء . وتحمل العقاب من لا يستحقه . فأين هى الرحمة ؟ .

إن تحمل البرىء عقاب ذنب لم يرتكبه لا يسمى رحمة ، وجميع المعاجم اللغوية فى كل لغات العالم تتفق على تسمية ذلك ظلماً وقسوة . وهكذا يتضح لنا أن هذه الفلسفة التى أقاموا عليها صرح النصرانية الكنسية منقوضة من أساسها .

٢ - وقع النصارى فى ذلك الخلط والخطأ حين حاولوا الجمع بين شيئين لا يمكن الجمع بينهما . فالعدل والرحمة لا يجتمعان فى جزئية واحدة على الاطلاق . فالعدل من حيث هو عدل يقتضى توقيع العقوبة على الجانى كاملة غير منقوصة ، والرحمة من حيث هى رحمة تقتضى الانقاص من هذه العقوبة أو رفعها كلية . وهذان أمران فى مواجهة بعضهما لاسبيل إلى الجمع بينهما بحال .

٣ - يخالف هؤلاء العقل والمنطق ، ويزيفون على الضمير الانسانى حين

يقررون أن ترك العدل إلى الفضل أو العفو نقيصة .

كيف ؟ ونحن لم نر أحداً من العقلاء فى القديم أو الحديث سواء فى ذلك المتدينون وغيرهم يقول إن العفو والرحمة نقص . فالعفو والرحمة فضيلتان من أسمى الفضائل التى تأخذ بيد الإنسان والإنسانية فى درجات فى مراقى السمو والكمال .

٤ — وإننا لنسأل هؤلاء النصارى الذين يذهبون إلى أن ترك العدل إلى العفو والرحمة نقص . كيف يعللون سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ وهو إله فى زعمهم ـ وسيرته مثل حى على العفو ، والتسامح ، وترك العدل إلى الرحمة وكيف يعللون وصاياه التى يحض فيها أتباعه على ترك العدل إلى الرحمة والتسامح ، من مثل قوله : « أحبوا أعداءكم . أحسنوا إلى مبغضيكم ، باركوا لا عنيكم ، من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضاً » .

فهل هذه الوصايا من المسيح حض على العدل أو الرحمة ؟ وإذا كانت حضا على الرحمة والتسامح ، فهل يعتبر ذلك نقصاً أمر به المسيح ؟ وهل يأمر الإله بنقص ؟

٥ — إذا كانت حكمة الله ـ تعالى عن ذلك ـ هى فداء الجنس البشرى حتى لا يخلد فى العذاب الأبدى ـ كما ـ يزعمون ـ فلم لم يفعل ذلك منذ وقعت الخطيئة ؟ ثم لم يبعث بابنه الفادى ليفدى العالم منذ آدم أو بعد آدم بألف أو ألفين من السنين ؟ وما الحكمة فى انتظاره تعالى كل هذه المدة المديدة .

إننا إذا كنا الآن فى سنة سبعين وتسعمائة وألف بعد الميلاد ، فإن خطيئة آدم وقعت ـ تبعا لحساب العهد القديم الذى يؤمن به النصارى ـ منذ أربعة وسبعين وتسعمائة وخمسة آلاف عام ـ ٥٩٧٤ ـ ولم يبعث

الإله بابنه إلى العالم ليفديه إلا منذ سبعين وتسعمائة وألف عام . وهذا يعني أن الاله انتظر أربعة آلاف سنة وأربع سنوات دون أن يبعث ابنه ليخلص العالم . فكأن الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - ظل منذ عصيان آدم يفكر في وسيلة يجمع بها بين عدله ورحمته . فلم يهتد إلى ذلك إلا منذ ألف وتسعمائة وسبعين عاما . وقد استغرق منه وضع هذه الخطة أربعة آلاف سنه وأربع سنوات .

وللسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، تعليق يقرب من مضمون هذه الفقرة . فهو يقرر أن عقيدة الصلب تتنافى مع الايمان بأن الله بكل شيء عليم . وفي صنعه حكيم ، لأنه حين خلق آدم لم يكن يدرى بما سيفعله آدم . وحين ارتكب آدم المعصية لم يدر بماذا يعالج هذه الخطيئة ، ووقع في ورطة الحيرة والتردد ، ولم يهتد إلى حل لهذه الخطيئة أو علاج لها إلا بعد آلاف السنين(١) .

٦ — ونحن نتساءل : ما عاقبة الذين رحلوا من الدنيا قبل أن يجيء المسيح ؟ إذا كانوا ناجين فكيف ؟ ولم يكن الفادى قد نزل وصلب . وإذا كانوا مؤاخذين بخطيئة أبيهم آدم ، فلم غفلت عنهم رحمة الله ولم ترسل بالفادى ابتداء حتى ينجو الجميع ؟ وما الحكمة في رحمة البعض دون الاخرين ؟ وإذا كان إرسال الله ابنه لفداء البشرية رحمة للذين وجدوا بعد المسيح أفلا يكون تأخيره عن الذين رحلوا قبله قسوة ؟ .

٧ — ثم إذا كان جميع البشر قبل الفداء ملوثين بالخطيئة ، فهل كان الأنبياء من أمثال نوح وإبراهيم وموسى الذى نزل عيسى ﷺ تابعاً لشريعته مدنسين بالخطيئة كذلك ؟ وإذا كان الامر كذلك — كما تقرر

---

(١) عقيدة الصلب والفداء - مطبعة المنار بمصر ص ١٨ - ١٩

النصرانية فعلا - فكيف اختارهم الله - مع دنسهم هذا - لهداية البشرية ؟(١)

٨ - وإذا كان المسيح قد نزل لفداء البشرية . وقبل أن يصلب تكفيراً لخطيئة آدم . ورضي بذلك أبوه وأنزله خاصة لهذا الغرض . وكان في ذلك الصلب ترضية لأبيه ، وإذا كان الصلب بناء على ذلك هو مشيئة الأب والابن معاً ؛ فلم إذن يلعن النصارى يهوذا الذي دل اليهود على مكان المسيح ؟ ولم يلعنون اليهود الذين نفذوا ذلك ؟ ويهوذا واليهود لم يفعلوا شيئاً سوى تحقيق مشيئة الأب والابن معاً . ولم يعملوا إلا على تحقيق الغاية التي من أجلها جاء المسيح . ولو فرضنا أن اليهود لم يصلبوه . أفلا يكون معنى ذلك فشل المسرحية كلها ؟ .

٩ - ومع أن النقوض على هذه القضية لا تنتهي ؟ إلا أننا نختمها كما بدأناها بنقض موجه إلى أساسها .

فهي مبنية على أساس أن ذرية آدم معاقبون بسبب خطيئة أبيهم آدم .

ولكننا نتساءل : أين ما يقضي به العقل والمنطق في شروط المسئولية الفردية ؟ وفي أي شرع يؤاخذ البريء بذنب الجاني ؟ ثم لماذا آدم بالذات تتحمل ذريته عاقبة خطيئته ؟ هل لأنه جد الجميع ؟ إن علاقتي بجدي كعلاقتي بابني كعلاقتي بأخي كعلاقتي بالغريب . كل هؤلاء تعد علاقتهم بي متساوية فيما يتعلق بالمسئولية والجزاء .

فلماذا يرتكب آدم خطأ ثم يعاقب به جميع البشر ؟ مع أن آدم نفسه قد أوقع الله به العقاب على خطيئته حين طرده من الجنة . فهل يعاقب الله على الخطيئة مرتين ؟ ويؤاخذ بها شخصين : أحدهما الجاني ، والآخر بريء ؟ .

---

(١) المسيحية - أحمد شلبي - ص ١٢٢ .

وفى أى شرع يؤاخذ الأبناء بجريرة الآباء ؟ وليس هناك شرع سماوى يبيح ذلك . وبخاصة والكتاب المقدس الذى يؤمن به النصارى ينص على أن الأبناء لا يعاقبون على خطيئة الآباء . يقول سفر التثنية : « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل (١) » .

. . .

وبعد هذه الإشارات الموجزة إلى فساد هذه العقيدة : عقيدة الصلب والفداء . لا نود أن نترك المقام ، دون أن نورد الإجابة على سؤال ربما أحسسنا به يلح علينا عقب هذه الفقرات التى قدمناها فى الموضوع . هذا السؤال هو :

إذا كنتم نفيتم صلب المسيح ، فكيف نجا من اليهود ؟ وماذا تم فى شأنه ؟ أم تراكم تنفون واقعة الصلب برمتها ؟ .

ونبدأ إجابتنا بالجزء الأخير من السؤال . فنقول إننا لا ننفى واقعة الصلب فى حد ذاتها فواقعة الصلب أثبتها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » (٢) .

فالحق تبارك وتعالى أشار إلى واقعة الصلب ولم ينفها . بل أثبتها ولكن ليس المصلوب عيسى . فقد أثبتها بالنسبة لشبيه عيسى . ولو أن الصلب لم يكن حقيقة واقعة لنفاة القرآن أصلا ، ولما كان هناك ضرورة لإلقاء شبه عيسى على غيره . فالواقعة إذن حقيقية .

---

(١) ٣٤ : ١٦ . (٢) سورة النساء — بعض آية : ١٥٧ .

وهنا نحب أن ننبه إلى خطأ يقع فيه الكثيرون من الباحثين المسلمين . حين يحاولون دفع عقيدة الصلب عند النصارى بنفي واقعة الصلب أصلا . وهذا خطأ واضح . لأن واقعة الصلب ثابتة وحقيقة .

وأما كيف نجا المسيح من اليهود ؟

فهذه خارقة من الخوارق التي أيد الله بها نبيه عيسى عليه السلام . وذلك بأن جرده من هيئته التي هو عليها فألقاها على غيره ، وألقى عليه هو هيئة تخالفها . ثم انسحب المسيح من بين القوم دون أن يشعر به أحد ، وأخذ اليهود شبيهه على أنه هو ، وفعلوا به ما فعلوا .

وهناك عبارات كثيرة في الأناجيل المعتبرة عند النصارى تدل على نجاة المسيح عليه السلام . ففي إنجيل متى يشير المسيح إلى رفع صورته وإلقائها على غيره فيقول :

(حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه الليلة » (١) .

وهو يشير إلى الليلة التي سيأتي فيها اليهود ليقبضوا عليه . ولكن ، لم يشكون فيه ؟ هذا هو السؤال الذي لم تجب عليه الاناجيل . ومع ذلك فالإجابة ليست عسيرة ، فليس هناك سبب معقول للشك ، إلا إذا كان المسيح سيتلبس بهيئة . غير هيئته ، أو أن هيئته ستكون على غيره .

وهذه الخارقة التي أنقذ الله بها عيسى عليه السلام . هي استجابة لدعاء عيسى الذي توجه به إلى ربه حين أحس بالمؤامرة ضده . وهذا الدعاء مثبت في الأناجيل .

---

(١) ٢٦ : ٣١ .

يقول متى عن المسيح فى الليلة السابقة لحادثة محاولة القبض عليه :

« إن عيسى أخذ معه بطرس وابنى زبدى ، وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم نفسى حزينة حتى الموت ، امكثوا ههنا واسهروا معى ، ثم تقدم قليلا وخر على وجهه ، وكان يصلى قائلا : يا أبتاه ، إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » (١) .

ويذكر متى أنه دعا بذلك الدعاء مرات كثيرة .

وأما مرقس فيذكر فى إنجيله عن المسيح أنه كان يدعو بنفس الدعاء تقريباً يقول مرقص إن المسيح كان يدعو قائلا :

« يا أبا الآب . كل شىء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس » (٢) .

فالمسيح هنا يدعو ربه أن ينقذه من المؤامرة التى تحاك ضده . وأن يحفظه من مؤامرات اليهود . والنبى لا يدعو إلا بما هو جائز الوقوع شرعا ، وهو لا يدعو بمستحيل أو معصية ، ودعوة الأنبياء حقيقة بالإجابة ، والمسيح دعا ربه أن ينقذه فأنقذه .

وإننا لنسأل النصارى : إذا كان المسيح حقيقة نزل من أجل الصلب وفداء البشرية ، وقد قبل ذلك ونزل من أجله . فهل يعقل مع ذلك أن يسأل ربه أو أباه أن ينقذه من الصلب . وأن يبعد عنه هذه الكأس التى كان يوشك أن يتجرعها ؟ أليس ذلك يعد تناقضاً مع مهمته التى نزل من أجلها . ألا يعد ذلك تراجعا منه ونكوصا ؟

---

(١) ٢٦ : ٣٧ - ٤٠ .

(٢) ١٤ : ٣٦ .

وأما جزء السؤال الخاص بحال المسيح بعد أن نجا من اليهود فقد اختلف المسلمون فى ذلك على فريقين :

الأكثرون على أن الله رفعه إليه حياً .

والأقلون على أنه هرب من اليهود إلى مكان أمين ، ثم عاش بقية حياته ، حتى استوفى أجله ثم قبض الله روحه .

ولقد أوفينا الكلام عن ذلك فى الفصل الأول عند الكلام على وفاة المسيح ونهايته على الأرض .

. . .

ثالثاً : المصادر النصرانية :

مصادر الدين النصرانى عند النصارى هى الكتاب المقدس . والكتاب المقدس ينقسم إلى قسمين :

١ — العهد القديم : وهو توراة اليهود . ومحل الكلام عن العهد القديم عند الكلام على اليهودية .

٢ — العهد الجديد : وهو ما سنتناوله هنا مع شىء من التفصيل .

والعهد الجديد يتضمن سيرة المسيح ، وأعماله ، وخطبه ومواعظه ، ونهايته التى انتهى إليها ، ثم أعمال رسله من بعده وسيرتهم وشرائع النصرانية كل ذلك حسب عقيدة الكنيسة .

وسنتناول فى كلامنا عن العهد الجديد ثلاثة أمور :

الأمر الأول : عدد أسفاره .

الأمر الثاني : مدونوه .

الأمر الثالث : التعليق عليه .

. . .

الأمر الأول : أسفار العهد الجديد .

يتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً . تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(أ) أسفار تاريخية ، وعددها خمسة . وهي: ١ - إنجيل متى، ٢ - إنجيل مرقس ، ٣ - إنجيل لوقا ، ٤ - إنجيل يوحنا . ٥ - أعمال الرسل .

(ب) أسفار تعليمية ، وعددها واحد وعشرون سفراً . وهي: رسائل بولس الأربع عشرة الآتية : ١ - رومية ، ٢ - ٣ كورنثوس الأولى والثانية، ٤ - غلاطية ٥ - أفسس، ٦ - فيلي ، ٧ - كولوس ٨ - ٩ تسالونيكى الأولى والثانية . ١٠ - ١١ - تيموثاوس الأولى والثانية : ١٢ - تيطس ، ١٣ فيلمون ، ١٤ العبرانيين ، ثم رسائل الرسل الآخرين الآتية : ١٥ - رسالة يعقوب ، ١٦ - ١٧ - رسالتا بطرس الأولى والثانية ، ١٨ - ١٩ - ٢٠ - رسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة ، ٢١ - رسالة يهوذا .

(ج) سفر نبوى واحد ، وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى .

. . .

الأمر الثانى : واضعو العهد الجديد .

لقد وضع العهد الجديد بعد المسيح . فالمسيح عليه السلام لم يمله أو يسمع عنه . وإنما وضعه أناس من بعده . بعضهم رأى المسيح ، وبعضهم لم ير المسيح أو يأخذ عنه . فهو ليس من تلاميذه ولا من تلاميذ تلاميذه .

وسنتناول مشاهيرهم بكلمة موجزة .

— متى : اسمه (لاوى بن حلفى) وكان يشغل جابياً للضرائب لحساب الدولة الرومانية . وكان اليهود يمقتون جباة الضرائب لأنهم كثيراً ما كانوا يستعملون الظلم والقسوة فى جبايتها . وكان ذات يوم جالساً عند مكان الجباية . فمر به المسيح وقال له اتبعنى فتبعه . ووضع إنجيله بعد المسيح ، ثم أخذ يبشر بالنصرانية فى الحبشة . ثم مات سنة ٦٢ أو سنة ٧٠ . على أثر ضرب مبرح من أعوان الملك . وقيل إنه طعن بالرمح .

— مرقس : واسمه (يوحنا) وأما مرقس فلقبه . لم يكن من تلاميذ المسيح الاثنى عشر . وإنما كان من الرسل السبعين بعد موت المسيح أخذ يبشر بالنصرانية فى أنطاكية وآسيا الصغرى ، ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث أسس النصرانية بها . وكتب إنجيـــله باليونانية . ومات مقتولا . سنة ٦٨ تقريباً .

— لوقا : هو أحد تلاميذ « بولس » المخلصين له ، والناشرين لتعاليمه . لم يكن من تلاميذ المسيح أو تلاميذ حوارييه ، ويختلف المؤرخون حول جلسيته ومولده ومهنته والقوم الذين كتب لهم إنجيله . فبعض المؤرخين يرى أنه أنطاكى ولد فى إنطاكية . وبعضهم يرى أنه رومانى ولد فى رومانيا ، وبعضهم يقول إن مهنته الطب . وبعضهم يقول إنه كان مصوراً

وليس طبيباً . وبعضهم يقول إنه كتب إنجيله لليونانيين ، والآخرون يقولون أنه كتبه للمصريين . والخلاصة أن المؤرخين اختلفوا فى كل شىء حول « لوقا » ولم يتفقوا إلا على شىء واحد ، هو أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا حتى من تلاميذ حوارييه .

— يوحنا : يقال أنه يوحنا بن زبدى وأمه « سالومة » أخت العذراء مريم . فهو ابن خالة المسيح . وكان هو وأخوه يعقوب بن زبدى مع أبيهما يصطادان السمك فمر بهما المسيح فأمرهما باتباعه فتبعاه وتركا الصيد ويقال أن المسيح وهو على الصليب — حسب زعمهم — أوصى إليه بأمه مريم فأخذها يوحنا إلى خاصته وكان يوحنا يبشر بالنصرانية فى آسيا الصغرى . وقد كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية . ومات شيخاً هرماً .

* * *

الأمر الثالث : التعليق على المصادر النصرانية .

وكلامنا هنا - كما أشرنا من قبل - منصب على العهد الجديد فقط .

ولعل البداية الطبيعية لكلامنا عن الأناجيل النصرانيه والرسائل الأخرى . أن نتساءل : هل هذه الأناجيل أملاها المسيح ؟ . وهل إنجيل عيسى عليه السلام واحد منها ؟ .

والجواب : لا .

فعيسى عليه السلام لم يمل هذه الأناجيل ، ولا رآها ، ولا سمع بها . فإنجيله ليس واحداً منها ، والأدلة كثيرة :

١ — أن هذه الأناجيل وضعت بعد عيسى . وأقدمها وضع بعده بسنوات تصل إلى نيف وثلاثين عاماً .

٢ – أن هذه الأناجيل تنسب صراحة إلى أصحابها وليس إلى عيسى عليه السلام .

٣ – أنها تختلف فيما بينها وتتناقض ، وليس كذلك شأن الكتاب السماوى الذى يصدق بعضه بعضاً .

٤ – أن هذه الأناجيل تشير فى ثناياها إلى إنجيل خاص بالمسيح . تنسبه إليه هو ، وتبين أنه ليس واحداً منها ، إذ هو خاص بالمسيح ، كان يبشر به ويدعو إليه ويكرز به فى الجامع . يقول متى فى إنجيله على لسان المسيح :

« الحق أقول لكم . حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى هذا العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها » (١) .

وفى إنجيل مرقس :

« وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (٢) .

وغير هذين المثالين هناك عشرات الفقرات داخل الأناجيل والرسائل تتكلم عن إنجيل كان للمسيح يبشر به . وواضح أنه غير هذه الأناجيل . لأنه كان يبشر به فى وقت لم يكن لهذه الأناجيل وجود فيه .

٥ – أن هذه الأناجيل فيها وصف لصلب المسيح وموته ودفنه ،

---

(١) ٢٦ : ١٢ .

(٢) ١ : ١٤ - ١٥ .

وقيامته وما حدث أثناء ذلك كله، وأحوال التلاميذ من بعده . فكيف يكون مع ذلك إنجيلا نزل على عيسى عليه السلام .

٦ — أن هذه الأناجيل ترجمة لحياه المسيح — من خلال عقيدتهم — وليس كذلك الكتب السماوية. فالكتب السماوية تنزل فى أساسها تشريعات وعبادات وعقائد وأوامر ونواهي . ولا تنزل لتترجم لحياة شخص أو أشخاص . فهذه الأناجيل فى حقيقتها أشبه بكتب السير عندنا .

ويبين الكتاب العزيز أن هذه الأناجيل التى يسيرون عليها ويتحاكمون إليها ليست الإنجيل النازل على المسيح عليه السلام يقول تعالى :

« ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم »(١) .

وهذه الحقيقة التى ذكرناها يذهب إليها ويؤيدها الباحثون النصارى الذين يذهبون إلى أن المسيح كان له إنجيل خاص به، وأنه كان موجوداً قبل هذه الأناجيل كلها، وأن هذا الإنجيل اختفى ولم يعثر له على أثر .

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

« إننا وجدنا من مؤرخى النصرانية الأحرار الذين لم يقيدهم فى بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية، من يصرحون بأنه كانت فى القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل. فيها ما جاء به المسيح وخلاصة أحوله .

وهذا ما قاله نارتن فى كتاب له : « قال اكهارن فى كتابه إنه كان فى

(١) سورة المائدة ، بعض آية ٦٦ .

ابتداء الملة النصرانية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة ، يجوز أن يقال إنها الإنجيل الاصلى . والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم . ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب . وما كانت الاحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » (١) .

وبعد أن أثبتنا أن الله أنزل على المسيح كتاباً هو الإنجيل . وأن أناجيلهم الموضوعة وعلماءهم الاحرار قد اعترفوا بأن هذا الإنجيل ليس واحداً من التى بين أيديهم الآن . بعد ذلك لنا أن نسأل :

أين ذلك الإنجيل ؟ أين إنجيل عيسى عليه السلام ؟ .

ونحن نسأل النصارى :

إذا كان هناك إنجيل لعيسى عليه السلام . وهذا الإنجيل مذكور فى صلب كتبكم التى هى فى اعتقادكم كتبت بالإلهام . وإذا كان هذا الإنجيل ليس واحداً من هذه التى بين أيدينا الآن :

فأين ذهب ذلك الإنجيل ؟ . وكيف اختفى ؟ وماذا كان فيه ؟ وهل هو متفق مع الاناجيل التى بين أيديكم أو مغاير لها ؟ وإذا كان متفقاً معها ، فلماذا اختفى إذن ولم يعثر له على أثر ؟ ألا يدل اختفاؤه ـ وهو الاصل والاهم ـ مع بقاء هذه الاناجيل التى هى دونه فى الاهمية ، على أنه لا يتفق معها ، ولا يسير فى اتجاهها ؟ ثم ألا يوحى ذلك بأنه اختفى عمداً ؟ .

ليس لدينا أدنى شك فى أن هذا الإنجيل قد اختفى عمداً . أخفاه الذين

---

(١) محاضرات فى النصرانية . ص ٦٥ — ٥٦ .

أسسوا النصرانية الحالية على أسس تخالف تماماً تعاليم المسيح التى كانت مسطورة داخل الإنجيل الذى اختفى . وهم قد أخفوه لأنهم ما كانوا يستطيعون أن يغيروا أو يبدلوا من تعاليم المسيح وإنجيله موجود .

وبعد أن عرفنا أن هذه الأناجيل لم يملها المسيح ولم يسمع بها . لا هى ولاسواها من الرسائل التى يتكون منها العهد الجديد . نكمل الكلام عن الأناجيل والرسائل جميعاً لنبين أدلة بطلانها فيما يلى :

١ – انقطاع سندها ، وبطلان نسبتها إلى أصحابها .

والسند المتصل الموثوق به هو الدعامة الأولى فى صحة المصادر الدينية . واعتقاد صلاحيتها ، وجواز السير على هداها . وبدون هذا السند الموثوق به تنعدم صلاحية هذه المصادر . ولا تصبح لها أية قيمة على الإطلاق .

والاناجيل النصرانية منقطعة السند . فلا سند لها على الإطلاق . وذلك راجع إلى الاضطهادات الدينية التى استمرت ضد النصارى حتى أوائل القرن الرابع .

ولذلك لم يكن من الممكن أن يجهر أحد بإنجيل أو حتى بكلمة المسيحية. حتى إن المسيحيين كانا يلتقيان فيسب كل منهما المسيح والمسيحية . كل منهما يخاف الآخر ويخشاه . « ويذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثانى . وأول من ذكر هذه الاناجيل الاربعة أرينيوس فى سنة ٢٠٩ »(١) .

---

(١) محاضرات فى النصرانية – محمد أبو زهرة – ص ٣٩ .

ونظرة يسيرة إلى الأناجيل الأربعة التي هي قطب العهد الجديد عندهم تبين لنا بطلان سندهد وتهافت نسبتها إلى أصحابها :

(١) فإنجيل متى : اتفق جمهورهم على أنه كتب بالعبرانية . واتفقوا كذلك على أن أقدم نسخة عرفت عن هذا الإنجيل شائعة رائجة كانت باليونانية .

أما كيف تحول الأصل العبرانى إلى اليونانية ؟ فهذا ما لا يعرف عنه أحد شيئاً . فالمترجم مجهول . وكذلك الاصل مجهول . والجهل بالمترجم وبالاصل المترجم عنه لا يبقى فضلة من ثقة فى الترجمة . فقد يكون المترجم جاهلا باللغة المترجم عنها ، وقد يكون سىء النية والعقيدة وأراد تحريف إنجل متى ، وقد يكون واحداً غير متى كتب إنجيلا وضع فيه معتقداته ثم دسه على متى بعد أن أخفى إنجيله الاصلى حتى يروج لعقيدته هو .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى :

« الإنجيل الذى ينسب إلى متى الآن . وهو أول الاناجيل وأقدمها عندهم .

ليس من تصنيفه يقيناً . بل ضيعوه بعد ماحرفوه . لأن قدماء النصارى عموماً . وغير المحصورين من المتأخرين على أن إنجيل متى كان باللسان العبرانى . وهو ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق النصرانية . والإنجيل الموجود الآن ترجمته . ولا يوجد عندهم الآن إسناد هذه الترجمة ، حتى لا يعلم اسم المترجم أيضاً باليقين . إلى هذا الحين »(١) .

---

(١) إظهار الحق - جـ ١ - ص ١٦١

(ب) وإنجيل مرقص : اختلف النصارى حول كاتب ذلك الإنجيل. هل هو مرقص ؟ أو بطرس عن مرقص. والجمهرة منهم يذكرون أن كاتبه هو بطرس عن مرقص. فإذا ما عرفنا أن هذا كان تلميذاً لبطرس الذى كان يعتبر رئيس الحواريين وزعيم الرسل. وأن مرقص كان يتعلم منه ويأخذ عنه، أدركنا مدى الخلط فيما ذهبوا إليه. من أن بطرس هو الذى كتبه عن مرقص. إذ كيف ينقل أستاذ عن تلميذه ما سبق أن علمه إياه ؟ . وهناك من علماء النصرانية من يقرر أن بطرس لم يكتبه ولم يسمع به. ويذهب إلى أن مرقص كتبه بعد وفاة بطرس. يقول الشيخ أبو زهرة :

« . فابن البطريق ـ وهو من المؤرخين النصارى الشرقيين ـ يقر أن الذى كتبه هو بطرس عن مرقص، ونسبه إليه، وأرينيوس يقرر أن الذى كتبه هو مرقص من غير تدبير بطرس لأنه كتبه بعد موته، فمن الكاتب إذن ؟

ليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين عن الأخرى »(١) .

(ج) وإنجيل لوقا : اختلف المؤرخون فى شخصية كاتبه، وفى جنسيته وفى صناعته، وفى القوم الذين كتب لهم إنجيله. والشىء الوحيد الذى اتفق حوله المؤرخون أن لوقا هذا لم يكن من تلاميذ المسيح، ولا حتى من تلاميذ تلاميذه. بل كان تلميذاً لبولص. ونحن لا ندرى هل هو من عمل بولص أو من عمل لوقا ؟ ونحن على التسليم بأن الإنجيل بقلم لوقا. فمن هو لوقا ؟ وما جنسيته وما صناعته ؟ ولمن كتب إنجيله هذا ؟ هذه أمور اختلف حولها المؤرخون النصارى. فمن قائل بأنه أنطاكى ولد فى أنطاكيا، وقائل بأنه رومانى ولد فى إيطاليا. ومن قائل بأنه كان طبيباً، وقائل بأنه كان مصوراً، ومن قائل بأنه كتب إنجيله لليونانيين، وقائل بأنه كتبه للمصريين.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ـ ص ٤٦ .

على أننا ننبه إلى المغزى من وراء تلمذة صاحب هذا الإنجيل لبولس، الذى سبق أن ترجمنا له وبينا أنه المحرف الأول والمضيع للمسيحية الحقة.

(د) وإنجيل يوحنا: أما هذا الإنجيل فهو طراز وحده. وله مكانة خاصة بخلاف الاناجيل الاخرى، ومكانته هذه دفعت النصارى إلى أن يعتبروه إنجيلا للكنيسة العامة. مع اعتبارهم كل إنجيل من الاناجيل الاخرى موضوعاً لقوم بأعيانهم.

ينقل الشيخ أبو زهرة عن القس إبراهيم سعيد قوله:

«إن إنجيل لوقا كتب لليونان، وإنجيل متى كتب لليهود، وإنجيل مرقص للرومان. وإنجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة»(١).

وهذه المكانة اكتسبها هذا الإنجيل من كونه الوحيد بين الاناجيل كلها الذى يصرح بألوهية المسيح تصريحاً لا تأويل له ولاشك فيه. فألوهية المسيح التى يدين بها النصارى. يعتبر هذا الإنجيل حجر الزاوية فيها، وأساس الاستدلال عليها.

وبقدر ما لهذا الإنجيل من أهمية، بقدر ما ازدحمت حوله الخلافات، وقويت الشكوك والريب. فجمهور النصارى يعتقدون أن مؤلفه هو يوحنا ابن زبدى حوارى المسيح. ولكن المحققين من علماء النصارى يؤكدون أن هذا الإنجيل لم يكتبه حوارى المسيح ولم يسمع به. وإنما هو من وضع غيره دسه عليه ليروج ما ضمنه من عقائد. والإنجيل بعباراته ومعانيه يؤكد أن الذى كتبه ليس رجلا صياداً عامياً مثل يوحنا الحوارى. وإنما كتبه رجل درس الفلسفة الشائعة آنئذ، واشتغل بها حتى ظهرت دراسته واضحة

---

(١) المصدر السابق - ٤٧.

جلية على أسلوب الإنجيل ومعانيه ولقد لقى هذا الإنجيل الجحود والإنكار من متقدمى النصارى ومن متأخريهم على حد سواء . يقول الشيخ أبو زهرة :

« ولقد قال استادلن فى العصور المتأخرة : « إن كافة إنجيل يوحنا من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية . ولقد كانت فرقة ألوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا » . ولقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه « أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى . وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى الكتاب أنه الحوارى الذى يحبه المسيح . فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها . وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى . ووضعت اسمه على الكتاب نصاً . مع أن كاتبه غير يوحنا يقيناً ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه . وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليل . فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى »(١) .

٢ ــ أنها منقوضة بغيرها من الأناجيل الأخرى التى تخالفها فى أساس عقيدتها كألوهية المسيح وعقيدة الصلب والفداء .

والتاريخ يروى أن الأناجيل ليست هى هذه الأربعة فقط . بل كانت

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٤٩ .

هناك أناجيل كثيرة تعد بالعشرات . فأعدمتها الكنيسة وحرمتها . بعد أن انتخبت من بينها هذه الأربعة التى تتفق مع عقيدتها التى وضعها بولص . وقد بقى لنا شاهد من هذه الأناجيل هو إنجيل (برنابا) . الذى يقرر بشرية المسيح . ووحدانية الإله ، ويبشر بمحمد ﷺ رسولا خاتماً . وينكر الصلب ويقول إن المصلوب غير المسيح!.

٣ — أن هذه المصادر فى جانبها الأهم والأكبر من وضع بولص الذى ترجمنا له سابقاً وعرفنا تاريخه الأثيم فى تحريف المسيحية الحقة!. فالعهد الجديد يتكون من سبعه وعشرين سفراً . وضع بولص!! وحده منها أربعة عشرة سفراً ، ثم وضع لوقا تلميذه الوفى إنجيله المنسوب إليه ، وكذلك أعمال الرسل . ووضع يوحنا تلميذ بولص إنجيله المنسوب إليه ورسائله الثلاث ورؤياه النبوية ، فيكون بولص قد وضع وحده من المصادر النصرانية أربع عشرة رسالة . وتلميذه لوقا رسالتين وتلميذه يوحنا الذى يتخفى وراء اسم يوحنا الصياد الحوارى. إنجيلا وثلاث رسائل ورؤيا ، فيكون لبولص وتلميذيه واحد وعشرون سفراً من السبع والعشرين رسالة التى يتكون منها العهد الجديد . وهذه الرسائل هى التى تتضمن عقيدة النصرانية وشرائعها وتقاليد الكنائس .

إذا عرفنا ذلك أدركنا أن مصادر العهد الجديد لا وثوق فيها إطلاقاً . وأن ثقتنا فيها تقدر بثقتنا فى صاحبها . وصاحبها بولص هو واضع النصارى الحالية . وهو الذى غرس فيها بذور الوثنية كما اعترف بذلك علماء النصرانية أنفسهم . على ما بينا عند ترجمتنا لذلك الرجل .

٤ - التناقض بينها ، والتضارب فى أخبارها .

فالأناجيل تتناقض فيما بينها وتختلف اختلافات لا تكاد تحصى . والحادثة الواحدة تذكر فى كل إنجيل على صورة تخالف غيرها من الأناجيل الأخرى مما يستحيل معه صـــدق الروايتين جميعاً ، فواحدة منهما بالضرورة كاذبة .

والاختلافات والتضارب بين أخبار الاناجيل عديدة لا تحصى - كما ذكرنا - غير أننا للتوضيح نأخذ بعض الامثلة :

(ا) يذكر إنجيل متى ومعه بقية الاناجيل ما عدا يوحنا ، أن المسيح عليه السلام لم يبدأ دعوته إلا بعد أن أسلم يوحنا ، ولكن إنجيل يوحنا يذكر أن المسيح ابتدأ دعوته قبل أن يسلم يوحنا .

(ب) يذكر إنجيل متى أن المسيح كان يسير عند بحر الجليل فوجد سمعان بطرس وأخاه أندراوس يلقيان شبكة فى البحر لصيد السمك ، فأمرهما بترك السمك واتباعه ليجعلهما صيادى الناس (متى ٤ : ١٨) وإنجيل يوحنا يكذب الخبر ويقول إنه لم يرهما يصطادان ولم يطلب منهما اتباعه . وإنما هما اللذان سمعا عنه من يوحنا (يحيى) فتبعاه . ولما سألهما ماذا يريدان قالا له نريد أن نعرف أين تسكن . (يوحنا) ١ : ٢٥) .

(ج) يذكر متى أن المسيح حين خرج من أريحا وجد أعميين يصرخان ليشفيهما ، فشفاهما بواسطة اللمس . (متى ٢٠ : ٢٩) . ويكذب مرقص الخبر فيقول إنه أعمى واحد ، وأن المسيح لم يلمسه . وإنما شفاه بالكلمة . (مرقص ١٠ : ٤٦) .

(د) تذكر الاناجيل أن المسيح بقى فى القبر ثلاثة أيام ثم قام . ولكنها تناقض نفسها فتذكر أنه صلب فى مساء الجمعة ، ثم قام فى فجر الأحد ، وهذه ليلتان ونهار ، ولا سبيل إلى التوفيق بين الروايتين .

(هـ) يذكر متى فى حادثة قيام المسيح أن مريم المجدلية ومريم الأخرى ذهبتا إلى قبر المسيح فى فجر الأحد، فوجدتا الحجر الذى كان يسد الباب مدحرجا خارجه، وملاكا واحداً جالساً عليه خارج المقبرة. (متى ٢٨ : ١ وما بعدها).

ويذكر مرقس أن اللاتى ذهبن إلى القبر فى الصباح ليستا امرأتين وإنما هن ثلاث نسوة. هاتان المرأتان ومعهما سالومة. وأنهن وجدن الحجر مدحرجا خارج القبر كما ذكر متى. ولكن الملاك لم يكن جالساً عليه. فلما نظرن داخل القبر وجدن الملاك جالساً داخله إلى اليمين. (مرقس ١٦ : ١ وما بعدها).

ويذكر لوقا أن النسوة حين ذهبن إلى القبر لم يجدن هناك ملاكاً لا جالساً على الحجر ولا داخل المقبرة. وإنما نزل عليهن من السماء ملاكان ووقفا بجوارهن (لوقا ٢٤ : ١ وما بعدها).

فهذه الأناجيل الثلاثة كل منها أتى بروايه فى حادثة واحدة هى رؤية النسوة قبر المسيح. فواحد منها يذكر أن المرأتين وجدتا ملاكا على الحجر خارج القبر والثانى يقول إن النساء ثلاثة. وقد وجدن الملاك داخل القبر عن اليمين. والثالث يقول إنهن نسوة كثيرات ولم يعرف بهن، وأنهن لم يجدن شيئاً لا فى الداخل ولا فى الخارج، وبينما هن متحيرات نزل عليهن ملاكان من السماء إلى جوارهن.

وهذه الروايات لا يمكن الجمع بينها ولا التوفيق إلا بتكذيبها جميعها.

(و) الخلاف فى نسب المسيح عليه السلام. وهم ينسبونه إلى خطيب

أمه (يوسف النجار) ولقد ذكر ذلك النسب فى إنجيل متى وفى إنجيل لوقا وبين الإنجيلين اختلافات كثيرة فى سلسلة النسب . ولكن أهمها ثلاثة .

١ — يعلم من متى أن يوسف بن يعقوب ، ومن لوقا أنه ابن هالى .

٢ — يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود ، ومن لوقا أنه ابن ناثان بن داود .

٣ — يعلم من متى أن الأجيال بين المسيح وداود ستة وعشرون جيلا ومن لوقا أنها واحد وأربعون جيلا(١) .

ونكتفى بهذه الأمثلة التى يتضح منها بجانب ما سبقها من أوجه النقد أن مصادر النصرانية التى تقوم أساساً على العهد الجديد لا تصلح إطلاقاً ليقوم عليها دين أو تبنى عليها عقيدة .

* * *

رابعاً — المجامع النصرانية :

المجامع النصرانية لها شأن كبير فى تاريخ الكنيسة . وفى تاريخ الدين النصرانى . لأن النصرانية التى تسير عليها الكنيسة اليوم لم تؤخذ عن المسيح . وإنما وضعها ورسم لها بولس . ثم جاءت المجامع فنفذتها وطبقتها وألزمت بها سائر النصارى بالبطش والإرهاب .

---

(١) إظهار الحق — الشيخ رحمة الله الهندى ، ج ١ — ص ٩٦ . والشيخ رحمة الله ذكر بين النسبين فى الإنجيلين اختلافات كثيرة . اخترنا من بينها هذه الثلاثة .

والمجامع النصرانية هي اجتماعات لكبار رجال الدين النصراني يتشاورون فيها حول مايحتاجون إلى التشاور فيه من أمور هامة تمس العقيدة النصرانية ثم يصدرون قراراتهم التي يعتبرونها ملزمة لجميع الكنائس على اختلافها .

والنصارى يقولون إن رسل المسيح قد رسموا لهم نظام المجامع هذا حين اجتمعوا في أورشليم سنة ٥١م للتشاور في شأن الختان وأكل لحم الخنازير والتمسك بشريعة التوراة . ثم أصدروا قراراتهم بحل لحم الخنزير على خلاف شريعة موسى ، وكذلك قرروا عدم الختان ، وعدم التمسك بشريعة موسى إلا فيما يوافقون هم عليه .

والمجامع النصرانية تنقسم إلى قسمين :

١ — مجامع مسكونية أى عامة . وهى تجمع كل رجال الكنائس فى العالم .

٢ — مجامع طائفية . وهى الخاصة بطائفة أو مذهب معين من المذاهب النصرانية .

وبعضهم يضيف إلى هذين القسمين قسما ثالثاً .

٣ — مجامع إقليمية . أى خاصة بأهل إقليم أو مكان بعينه .

والمجامع التى تهمنا فى هذا الشأن هى المجامع العامة . أو على حد تعبيرهم (المسكونيه) . وسوف نتكلم عن المجامع الهامة منها فقط . بحيث يبين منها ما نقصد إليه . وهو أثر هذه المجامع فى العقيدة النصرانية . وأن هذه العقيدة لم تؤخذ عن المسيح عليه السلام ، ولم يحدث أن كانت أسس هذه العقيدة كألوهية المسيح والتثليث محل إجماع أو قبول النصارى . وهذا ما يجعلنا نقرر أن نصرانية الكنائس تخالف كل الأديان السماوية . إذ الدين السماوى ما يأخذه الناس ويتلقونه عن ربهم ، وأما النصرانية فقد تلقاها الناس قرارات ومراسيم من المجامع . ولم يصدر قرار إلا والمخالفون له

أكثر من الموافقين عليه . وحسبنا فى بيان إنحراف نصرانية الكنيسة أنها نصرانية وضعت وأقرت كما تقر المشاريع السياسية أو الزراعية . وأن هذه القرارات كان يقترع عليها ثم ينفذ منها ما يحوز رضاء الأكثرية أو يشبع هوى الأغلبية .

وهذه هى أهم المجامع التى أقرت فيها عقائد النصرانية الهامة .

١ — مجمع نيقيه .

اجتمع هذا المجمع فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ م . وهو المجمع العام الأول وكان السبب الأهم فى اجتماعه هو الفصل بين دعاة التوحيد برئاسة « آريوس » وبين دعاة التثليث برئاسة الاسكندر بطريرك الاسكندرية . وكان هناك بجانب هذا السبب الأهم أسباب أخرى دونه فى الأهمية مثل بحث تحديد يوم عيد الفصح الذى هو عيد القيامة . وكذلك بحث أمر المعمودية من الهراطقة هل تعاد أولا ؟ . ولكن الفصل بين التوحيد والتثليث كان السبب الأهم كما ذكرنا . وقد اجتمع فى هذا المجمع - ٢٠٤٨ - من رجال الدين النصرانى . وافق على ألوهية المسيح منهم - ٢١٨ - فقط . ولكن قسطنطين الوثنى مال إلى الذى يتفق مع وثنيته . فتدخل وفرض عقيدة الأقلية بالقوة ، وفى هذا المجمع أقرت ألوهية المسيح بقوة السيف وبطش الملك . وليس بسلامة الرأى واستقامة الحجة .

٢ — المجمع القسطنطينى الأول :

عقد هذا المجمع فى سنة ٣٨١ . وكان السبب فى اجتماعه أن مجمع نيقية السابق ذكره قرر ألوهية المسيح . ولم يبحث أمر (الروح القدس) . وهل هو إله أم مخلوق ؟ .

وكان السبب المباشر هو الدعوة التى قام بها رجل يدعى (مقدونيوس)

وكان هذا الرجل ينشر رأيه فى أن الروح القدس ليس بإله . وإنما هو مخلوق مصنوع . وعندما وصل هذا الخبر إلى الملك جمع هذا المجمع الذى قرر أن الروح القدس إله . وأنه هو المكمل للثالوث المقدس .

٣ — مجمع أفسس الأول :

اجتمع فى سنة ٤٣١ م. وكان السبب فى اجتماعه أن (نسطور) بطريرك القسطنطينية ، كان يذهب إلى أن العذراء مريم لم تلد المسيح الإله . وإنما ولدت المسيح الإنسان . وأن المسيح الذى ولدته مريم حلت عليه البركة والنعمة بعد مولده . وعلى هذا فمريم هى أم الإنسان وليست أم الإله . والمسيح إنسان وليس إلهاً . وعندما انتشرت مقالة نسطور اجتمع هذا المجمع وقرر أن مريم ولدت المسيح الإله . وجاء فى القرار ما يأتى :

« أن مريم العذراء والدة الله ، وأن المسيح إله حق ، وإنسان معروف بطبيعتين ، متوحد فى الأقنوم » .

٤ — مجمع خلكيدونية :

اجتمع فى سنة ٥٤١ م . وذلك بسبب بحث ما ذهب إليه بطريرك الإسكندرية وأشياعه من أن المسيح له طبيعة واحدة . اتحد فيها اللاهوت بالناسوت . فاجتمع هذا المجمع وقرر رفض هذا الرأى وحرمان صاحبه ومن يقول به .

وقرر كذلك أن المسيح له طبيعتان . اللاهوت طبيعة بذاتها ، والناسوت طبيعة كذلك ، والطبيعتان التقتا فى المسيح .

وفى هذا المجمع وضع الأساس لانقسام الكنيسة المصرية نهائياً عن الكنيسة الغربية . ومع الكنيسة المصرية جاءت الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية .

ونكتفى بهذا القدر من الجامع إذ فيه غناء لمقصدنا الذى أسلفناه فى أول الفقرة .

* * *

خامساً — من شعائر النصرانية :

للنصرانية - كما لأي دين - شعائر يجب القيام بها والمحافظة عليها. وهى عندهم فرائض مقدسة وضعها المسيح والرسل .

وهذه الشعائر تختلف حسب اختلاف الكنائس فى كثير منها . ولكننا سوف نشير إلى أهم هذه الشعائر دون أن ندخل فى خلافات الكنائس بعضها مع البعض .

١ — حمل الصليب وتقديسه :

سبق أن تكلمنا عن عقيدة النصرانية فى ألوهية المسيح وصلبه فداء للبشر ، والكنيسة توجب على أتباعها تقديس الصليب . وحمله ، وتقبيله ، ورسمه بالإشارة إلى الصدر والجبهة بأصابع اليد الثلاثة الأمامية . وهم يقدسون الصليب لا لذاته . وإنما إشارة ورمزاً للتضحية فى سبيل المسيح والآخرين . وهم يتمسكون بحمل الصليب وتقديسة استناداً إلى ما جاء فى إنجيل لوقا من قول المسيح :

« إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى » .

٢ — الصلاة : وهى عندهم أساس من أسس النصرانية . وقد فرضت الكنيسة على أتباعها سبع صلوات فى اليوم والليلة . وهى: ١ - صلاة باكر ، ٢ - صلاة الساعة الثالثة ، ٣ - صلاة الساعة السادسة ، ٤ - صلاة الساعة

التاسعة ، ٥ ـ صلاة الساعة الحاديه عشرة ، ٦ ـ صلاة الساعة الثانية عشرة ، ٧ ـ صلاة منتصف الليل . وهذه الصلوات غالباً ما تقتصر على المتعبدين داخل الكنائس والأديرة . ولكن بالنسبة لعامة الناس فهم يقتصرون غالباً على صلاتين فقط . هما صلاة باكر ، وصلاة آخر اليوم . والصلاة عندهم ليس فيها ركوع ولا سجود . وإنما هي دعاء . وهذا الدعاء نصت عليه الأناجيل . ويقولون إنهم أخذوه عن المسيح ، والدعاء هو :

« أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس إسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم ، واغفر خطايانا ، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، ولكن نجنا من الشرير »(١) .

ولقبول الصلاة عندهم شرطان أساسيان :

(ا) أن توجه باسم المسيح الابن . فإذا ما وجهت إلى الآب لا تنفع وكذلك إلى الروح القدس . ولكنها تصلح فقط باسم الابن .

(ب) أن يوقن المصلى يقيناً جازماً بقبول صلاته وإجابة دعائه . فإذا ما خالجه شك فى قبولها بطلت ولم تقبل فعلا .

٣ ــ الصيام : وهو عند النصارى امتناع الانسان وقتاً معيناً من النهار عن الطعام ، ثم اقتصاره بعد ذلك على أنواع خالية من الدسم الحيوانى والصوم عندهم تقليد لا فريضة . فهو اختيارى يأتى به أهل الصلاح والتقوى منهم وليس له أيام محددة متفق عليها عند الكنائس ، ولكنها تختلف فيما بينها حول

---

(١) تاريخ الأقباط ـ زكى شنودة ـ ٢٥٦ .

٤ – أسرار الكنيسة : وأسرار الكنيسة عندهم من أهم مبادىء الإيمان وأركان الشريعة الجديدة التي أتى بها العهد الجديد . والسر عندهم هو « عمل مقدس به تنال نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة » . والمشهور أن الأسرار سبعة . وأهمها :

(أ) سر المعمودية : والعماد عندهم سر مقدس به يولد الإنسان مرة ثانية ، بواسطة الماء والكلمة . والعماد يكون إما بتغطيس المتعمد ثلاث دفعات في الماء باسم الأب والابن والروح القدس . وإما برشه بالماء على اختلاف الكنائس في ذلك . والعماد يغفر الخطيئة (الجدية) أى الموروثة عن جدهم آدم . وكذلك الأخطاء الذاتية قبله ، ولا يقوم به إلا الكاهن .

(ب) سر الميرون القدس . أو سر المسحة . وهـــذه تختلف حولها الكنائس أيضاً ، والنصارى يعتقدون أن المسيح لما مات وقبر ، جمع تلاميذه الحنوط الذى كان على جسده مع الحنوط الذي أحضرته النسوة لدهنه . ثم أذابوا هذا الحنوط فى زيت الزيتون . ثم قدسوه فى (علية صهيون) . ثم جعلوا هذا الزيت المقدس أو (الميرون) كما يسمونه . دهناً يدهنون به من يعمدونه تعميده بالماء . وقد وزع تلاميذ المسيح هذا الزيت المقدس فى جميع الجهات وفى مصر أحضره معه القديس مرقس . وصار الكهنة كلما أوشك هذا الزيت على الخلاص يحتفظون منه بجزء صغير (خميرة) يضاف إليها زيت جديد . فتحل فيه البركة كسابقه . وقد تم تجهيز هذا الميرون المقدس من عهد الرسل إلى اليوم خمساً وعشرين مرة فقط .

(ج) سر القربان المقدس ، أو العشاء الربانى : ويسمونه عندهم (الأفخارستيا) . وهو – فى زعمهم – سر جسد ودم السيد المسيح تحت عوارض

الخبز والخمر . والنصارى يفعلون هـــذا اقتداء بما جاء فى إنجيل متى عن المسيح حين جلس بين تلاميذه للعشاء الأخير . حيث أخذ خبزاً وباركه ثم أعطى تلاميذه وقال «خذوا كلوا ، هذا هو جسدى » ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم وقال . « اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى » (١) .

والنصارى يأتون بفطيرة من الخبز من نوع خاص وصنعة خاصة ، ثم يأخذها الكاهن ويدعو بدعوات ، ثم يوزعها على الحاضرين فى الكنيسة فيأكلون ، وهم يعتقدون تمام الاعتقاد أنهم إنما يأكلون لحم ودم المسيح على الحقيقة ، فهم يؤمنون إيماناً جازماً بأن دعوات الكاهن تحول الفطيرة إلى لحم وجسد المسيح حقيقة تحت عوارض الخبز . وهم يأكلونه لكى يتحدوا بالمسيح ، يقول صاحب كتاب (تاريخ الأقباط) :

« وتعتقد الكنيسة أن سر القربان المقدس يحتوى حقيقة بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم نفس ولاهوت السيد المسيح . أى أن الخبز ، والخمر ينتقلان ويستحيلان بكلمات التقديس إلى جسد المسيح ودمه ، لا على وجه الرمز والإشارة ، ولا بحسب حلول اللاهوت فى مادتى الخبز والخمر وإنما باعتبار أن الخبز والخمر يصيران حقيقة ، وفعلا ، وبحسب جوهرهما جسد الرب ودمه وذاته » (٢) .

ولعل هذا سر من أغرب الأسرار وأعجبها .

ولكن ما أكثر الأسرار فى نصرانية الكنائس التى تستعين بها على تقييد العقول والأفكار عن كشف حقيقتها الزائفة .

. . .

---

(١) إنجيل متى ٢٦ : ٢٦ . (٢) زكى شنوده . ص ٢٦١ .

خاتمـــة

أما بعد

فقد كانت هذه محاضرات ألقيتها على طلابى بكلية أصول الدين .

قمت بطبعها ، رجاء أن يعم النفع بها ، بعد ما لمست من أثرها على الطلاب .

داعياً المولى – عز وجـل – أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ؟

محمود محمد مزروعة

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
أولا — التثليث والتوحيد	٩١
— كيف تحول دعوة	
التوحيد فى النصرانية إلى التثليث	٩٦
— الينابيع التى أشتقت المسيحية	
منها عقيدة التثليث	١٠٤
— نقد هذه الفكرة	
ودحضها	١٠٨
ثانياً — الصلب والفداء	١١٠
نقد الفكرة	١١٤
ثالثاً — المصادر المسيحية	١٢٢
الأمر الأول	١٢٣
الأمر الثانى	١٢٤
الأمر الثالث	١٢٥
رابعاً — المجامع المسيحية	١٢٧
خامساً — من شعائر	
المسيحية	١٤١
خاتمة	١٤٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٦٨٦